

حقيقة المجتهدين والعلماء

وهدم الاحتجاج بالأكثرية في معرفة الصواب من الأخطاء

والنقاش في قضية غلو الشعراء

كتبه الفقير إلى الله:

أبو فيروز عبد الرحمن الإندونيسي

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما بعد:
فإني قد قرأت ما كتبه أخونا الفاضل عبد العزيز الصلوي حفظه الله في رسالته "النصح البديع"، وذكر قول محمد الإمام: (نريد أن تكونوا معنا، فإن الشيخ يحيى ليس معه أحد).

ومما دب على بعض أهل الأهواء بغض علماء السنة الثابتين، والاحتقار بهم. وبعضهم يزعمون أنهم من الصغار، وبعضهم يزعمون أنهم إنما أذنب الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله -يعني: مجرد التقليد بدون تحقيق والنظر في الحجج-، ويسعى هؤلاء الحسدة في تنفير النار من دعوة هؤلاء مشايخ السنة الثابتين.
إن العلماء لهم علينا منة قدرها أعظم من الدنيا وما فيها، فبهم نجانا الله من الجهل والضلال والظلمات، فلهم حق الاحترام، والدعاء لهم، والطاعة في المعروف، والنصرة في الحق، والدفاع عن الظلم.
ورأينا أنه تجب علينا نصرتهم والدفاع عنهم.

عن جابر رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما. إن كان ظالما فلينبهه فإنه له نصر. وإن كان مظلوما فلينصره». (أخرجه مسلم (٢٥٨٤)).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». (أخرجه الترمذي (١٩٣١) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٧٢٢٨) وهو حديث صحيح).
قال المناوي رحمه الله: (من رد عن عرض أخيه) في الدين أي رد على من اغتابه وشان من أذاه وعابه (رد الله عن وجهه) أي ذاته، وخصه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان (النار يوم القيامة) جزاء بما فعل وذلك لأن عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن استحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الآخرة في الجنة.
("فيض القدير شرح الجامع الصغير" برقم (٨٦٩٨)).

ثم إن أهل الأهواء والحسد يتتبعون زلات أهل الخير والسنة ولم يتورعوا حتى في خطأ قد تاب منه، لأن قصد هؤلاء البغاة شفاء غيظ صدورهم بإيقاع أهل الخير في الحرج والضيق وغير ذلك من المكاره، وفساد سمعته في الناس، وليس قصدهم حصول الخير وإصلاح الأمر. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَعَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، وقال جل

ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وإن من أعظم ما استغله المخطئون - أمثال عرفات البصري، وعبد الله البخاري، بل بعض من يعظم في نفوسنا أيضاً - في ضربهم أهل السنة: قضية زلات بعض الشعراء. ولا يزالون يطعنون في الشيخ عبد الحميد الحجوري حفظه الله أنه ذكر في رسالته "الخيانة الدعوية" قول الشاعر في حق الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله: (إمام الثقلين). وقالوا: ومن غلوهم قولهم: (لو ذوبوا لحمه لصار سنة). وكلهم يستغلون هذه القضية لإثبات أن في الشيخ يحيى ومن معه: (غلو لا نظير له)، مع معرفتهم بإعلان الشعراء توبتهم من تلك الزلات.

وكل ذلك لإلفات نظر الناس عن أصل المسألة وهي جريمة عبد الرحمن العدني وأتباعه على الدعوة السلفية. وهذا من أسلوب أهل الباطل إلفات نظر الناس عن محل النزاع لما عجزوا عن مقاومة الحق بالحجج. ولهم سلف من بعض الكفار. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت/ ٢٦]

قال ابن عاشور رحمه الله: فالذين كفروا هنا هم أئمة الكفر يقولون لعامتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، فإنهم علموا أن القرآن كلام هو أكمل الكلام شريف معانٍ وبلاغة تراكيب وفصاحة ألفاظ، وأيقنوا أن كل من يسمعه وتداخل نفسه جزالة ألفاظه وسُمُو أغراضه قضى له فهمه أنه حق اتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم، فتملأوا ودبروا تدبيراً لمنع الناس من استماعه، وذلك خشية من أن ترق قلوبهم عند سماع القرآن فصرفوهم عن سماعه. وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكُمُوا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب، ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعييتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تحقق خَشُوا أن يُعَمَّ نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد عدلوا إلى لغو الكلام ونفخوا في أبواق اللغو والجمعجة لعلمهم يغلبون بذلك على حجج الحق ويغمرون الكلام القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء. ("التحرير والتنوير" / ١٣ / ص ٣٠).

قال ابن عطية رحمه الله: قوله عز وجل: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ حكاية لما فعله بعض قريش كأبي جهل، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن في المسجد الحرام ويصغي إليه الناس من مؤمن وكافر، فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأ محمد فلنلغظ نحن بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد الشعر والإرجاز حتى يخفى صوته ولا يقع الاستماع منه، وهذا الفعل منهم هو اللغو. ("المحرر الوجيز" / ١٤ / ص ١٦٩).

ومن العجائب أن كثيرا منهم يغلون في الشيخ ربيع فأطلقوا عليه كلمات ضخمة خرجت من حدود الشريعة، ولم يستعملوا العدل والإنصاف مع من جعلوه خصما لهم. فقد كالوا بمكيالين ووزنوا بميزانين.

فعمزمت على كتابة هذا النقاش، لا لإكثار الجدل ولا لإسقاط العلماء كما زعموا، ولكن لدفع هذا البغي العظيم، ونصرة المظلوم، ولكثرة الضحايا في بعض البلدان من جراء هذه الإشاعة الفاجرة الجائرة.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: فثبت أن الجدل المحمود هو طلب الحق ونصره، وإظهار الباطل وبيان فساد، وأن الخصام بالباطل هو اللدد، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم. ("الفقيه والمتفقه" / للخطيب البغدادي / ٢ / ص ١٧٥).

وقال العلامة ابن عقيل الحنبلي رحمه الله في "الواضح في أصول الفقه": وكل جدل لم يكن الغرض فيه نصرة الحق فإنه وبال على صاحبه، والمضرة فيه أكثر من المنفعة؛ لأن المخالفة توحش، ولولا ما يلزم من إنكار الباطل، واستنقاذ الهالك بالاجتهاد في رده عن ضلالته، لما حسنت المجادلة للإيجاش فيها غالبا، ولكن فيها أعظم المنفعة إذا قصد بها نصرة الحق، والتقوي على الاجتهاد ونعوذ بالله من قصد المغالبة، وبيان الفراهة وينبغي أن يجتنبها. (نقله ابن النجار الحنبلي في "شرح الكوكب المنير" / ٤ / ص ٣٧٠ ط. العبيكان).

فأقول مستعينا بالله تعالى:

الباب الأول: حقيقة العالم والفقهاء

إن كثيرا من الناس لم يفهموا حقيقة العلم والفقهاء فيغترون بالظواهر المزينة المزيّنة فيحسبون أصحاب فصاحة اللسان وبراعة البيان علماء فقهاء وليسوا منهم. ومن وجه آخر أنهم -جهلا أو تجاهلا- يحتقرون حملة الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ويخرجونهم من دائرة العلماء والفقهاء مهما بلغوا من العلم والفقهاء مع صحة الأذهان وسداد المقاصد.

فلا بد من شيء من البيان حتى يوضع كل شيء موضعه.

تعريف العلم والفقهاء والاجتهاد، وأهل هذه الأمور

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله: قولهم: (رجل فقيه) معناه: عالم، وكل عالم بشيء فهو فقيه فيه، من ذلك قولهم: ما يفقه ولا ينقه معناه: ما يعلم ولا يفهم، يقال: نقهت الحديث أنقهه: إذا فهمته، ونقته من المرض أنقه، ومن الفقه قولهم: قال فقيه العرب، معناه: عالم العرب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ﴾ معناه: ليكونوا علماء به. ("الفقيه والمتفقه" / للخطيب البغدادي / ١ / ص ١٩٠ / مكتبة التوعية الإسلامية).

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفقيه الفيروزآبادي رحمه الله: الفقه: معرفة الأحكام الشرعية، التي طريقها الاجتهاد. ("الفقيه والمتفقه" / للخطيب البغدادي / ١ / ص ١٩٠ / مكتبة التوعية الإسلامية).

وقال ابن النجار الحنبلي رحمه الله: (والفقيه) في اصطلاح أهل الشرع (من عرف جملة غالبية) أي كثيرة (منها) أي من الأحكام الشرعية الفرعية (كذلك) أي بالفعل أو بالقوة القريبة من الفعل، وهي التهيؤ لمعرفتها عن أدلتها التفصيلية. ("الكوكب المنير شرح مختصر التحرير" / ١ / ص ٤٢ / ط. عبيكان).

وقال رحمه الله: (وشرط مجتهد: كونه فقيها، وهو) أي الفقيه في الاصطلاح (العالم بأصول الفقه) أي بأن يكون له قدرة على استخراج أحكام الفقه من أدلتها (وما يستمد منه) أي من أصول الفقه، ويتضمن ذلك: أن يكون عنده سجية وقوة يقتدر بها على التصرف بالجمع والتفريق والترتيب، والتصحيح والافساد، فإن ذلك ملاك صناعة الفقه، قال الغزالي: إذا لم يتكلم الفقيه في مسألة لم يسمعها، ككلامه في مسألة سمعها، فليس بفقيه، والذي يستمد منه أصول الفقه: هو الكتاب والسنة وما تفرع عنهما. (و) أن يكون عالما ب (الأدلة السمعية مفصلة، واختلاف مراتبها) وليس المراد: أن يعرف سائر آيات القرآن، وجميع أحاديث السنة، وإنما المراد: ما يحتاج إلى معرفته (فمن الكتاب والسنة: ما يتعلق بالأحكام) وقد ذكروا أن الآيات خمسمائة آية، وكأنهم أرادوا ما هو مقصود به الأحكام بدلالة المطابقة أما بدلالة الالتزام: فغالب القرآن، بل كله؛ لأنه لا يخلو شيء منه عن حكم

يستنبط منه ، وليس المراد بعلمه بذلك حفظه ، بل المراد أن يكون (بحيث يمكنه استحضاره للاحتجاج به ، لا حفظه) يعني أنه لا يشترط في المجتهد حفظ ما يتعلق بالأحكام من الكتاب ، حيث أمكنه استحضار ذلك عند إرادة الاحتجاج به (و) يشترط في المجتهد أيضا أن يكون عالما ب (الناسخ والمنسوخ منهما) أي من الكتاب والسنة ، مما يستدل به على تلك الواقعة التي يفتي فيها من آية أو حديث ، حتى لا يستدل به إن كان منسوخا ، ولا يشترط أن يعرف جميع الناسخ والمنسوخ في جميع المواضع (و) يشترط في المجتهد أيضا : أن يكون عالما ب (صحة الحديث وضعفه) سندا ومتنا ، لي طرح الضعيف حيث لا يكون في فضائل الأعمال ، وي طرح الموضوع مطلقا ، وأن يكون عالما بحال الرواة في القوة والضعف ، ليعلم ما ينجر من الضعف بطريق آخر (ولو) كان علمه بذلك (تقليدا كنقله) ذلك (من كتاب صحيح) من كتب الحديث المنسوبة لأئمة كمالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والدارقطني والترمذي والحاكم وغيرهم ؛ لأنهم أهل المعرفة بذلك ، فجاز الأخذ بقولهم ، كما يؤخذ بقول المقومين في القيم . (و) يشترط فيه أيضا : أن يكون في علمه (من النحو واللغة ما يكفيه فيما يتعلق بهما) أي بالنحو واللغة في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (من نص ، و) من (ظاهر ، و) من (مجمل ، ومبين ، و) من (حقيقة ومجاز ، و) من (أمر ، ونهي ، و) من (عام ، وخاص ، و) من (مستثنى ومستثنى منه ، و) من (مطلق ، ومقيد ، و) من (دليل الخطاب ونحوه) كفحوى الخطاب ولحنه ومفهومه ؛ لأن بعض الأحكام تتعلق بذلك ، ووقف عليه توقفا ضروريا ، لقوله سبحانه وتعالى " والجروح قصاص " ؛ لأن الحكم يختلف برفع " الجروح " ونصبها ، ولأن من لا يعرف ذلك لا يتمكن من استنباط الأحكام من الكتاب والسنة ؛ لأنها في الذروة العليا من مراتب الإعجاز . فلا بد من معرفته أوضاع العرب ، بحيث يتمكن من حمل كتاب الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على ما هو الراجح من أساليب العرب ومواقع كلامها ، ولو كان غيره من المرجوح جائزا في كلامهم . (و) يشترط فيه أيضا : أن يكون عالما ب (المجمع عليه والمختلف فيه) حتى لا يفتي بخلاف ما أجمع عليه ، فيكون قد خرق الإجماع (و) ب (أسباب النزول)

("الكوكب المنير شرح مختصر التحرير / ٤ / ص ٤٥٩ - ٤٦٤ / ط. عبيكان).

وهل يجوز للرجل أن يتكلم في فن ألمه، أم لا بد له أن يكون مجتهدا مطلقا حتى يتكلم؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الاجتهاد حالة تقبل التجزؤ والانقسام فيكون الرجل مجتهدا في نوع من العلم مقلدا في غيره أوفي باب من أبوابه كمن استفرغ وسعه في نوع العلم بالفرائض وأدلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم أوفي باب الجهاد أو الحج أو غير ذلك فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه ولا تكون معرفته بما اجتهد فيه مسوغة له الإفتاء بما لا يعلم في غيره وهل له ان يفتي في النوع الذي اجتهد فيه فيه ثلاثة أوجه أصحابها الجواز بل هو الصواب المقطوع به والثاني المنع والثالث الجواز في الفرائض دون غيرها.

فحجة الجواز أنه قد عرف الحق بدليله وقد بذل جهده في معرفة الصواب فحكمه في ذلك حكم المجتهد

المطلق في سائر الأنواع

وحجة المنع تعلق أبواب الشرع وأحكامه بعضها ببعض فالجهل ببعضها مظنة للتقصير في الباب والنوع الذي قد عرفه ولا يخفى الارتباط بين كتاب النكاح والطلاق والعدة وكتاب الفرائض وكذلك الارتباط بين كتاب الجهاد وما يتعلق به وكتاب الحدود والأقضية والأحكام وكذلك عامة أبواب الفقه .

ومن فرق بين الفرائض وغيرها رأى انقطاع أحكام قسمة الموارث ومعرفة الفروض ومعرفة مستحقها عن كتاب البيوع والإيجارات والرهن والنضال وغيرها وعدم تعلقاتها وأيضا فإن عامة أحكام الموارث قطعية وهي منصوص عليها في الكتاب والسنة.

فإن قيل: فما تقولون فيمن بذل جهده في معرفة مسألة أو مسألتين هل له أن يفتي بهما؟

قيل: نعم يجوز في أصح القولين وهما وجهان لأصحاب الإمام أحمد وهل هذا إلا من التبليغ عن الله وعن رسوله وجزى الله من أعان الإسلام ولو بشطر كلمة خيرا ومنع هذا من الإفتاء بما علم خطأ محض وبالله التوفيق. (انتهى من "إعلام الموقعين" / ٤ / ص ٥٧ / دار الحديث).

الباب الثاني: لم ينفرد الشيخ يحيى الحجوري في هذا الحق

زعم محمد بن عبد الله الريمي وكثير من حزب المرعيين أن الشيخ يحيى ليس معه أحد، وأن جميع المشايخ ضده. فالرد عليهم ما يلي:

الفصل الأول: الواقع يرد على مزاعم الحزبيين

إن العلماء الثابتين كثير في اليمن وغير اليمن. الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي الإبي، والشيخ أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري، والشيخ أبو محمد عبد الحميد بن علي الحجوري الزعكري، والشيخ أبو بلال خالد عبود الحضرمي، والشيخ أبو عبد الله طارق بن محمد البعداني الإبي، والشيخ أبو الدحاح الحجوري، والشيخ أبو عبد الله كمال بن ثابت العدني، والشيخ أبو اليمان عدنان المصقري الذماري، والشيخ أبو معاذ حسين الخطيبي اليافعي، والشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشميري، والشيخ زكريا اليافعي، والشيخ أبو عبد الله زايد بن حسن الوصابي العمري، والشيخ أبو عبد الرحمن جميل بن عبده الصلوي، وكذلك فضيلة الشيخ محمد بن محمد بن مانع (القائم بالدعوة السلفية بصنعاء)، والشيخ عبد الرقيب الكوكباني (طرده الحزب الجديد من المسجد الذي كان يقوم بالدعوة فيه، ثم يلتحق بالشيخ محمد بن مانع)، والشيخ أحمد بن عثمان العدني (بعدن)، والشيخ أبو عمار ياسر الدبعي (بالمكلا، كانوا يسعون في أذيته بشدة)، والشيخ عبد الله بن أحمد الإرياني (كان بيضاء، فسعوا في إخراجهم من مسجده)، وكذلك الشيخ أبو بكر عبد الرزاق بن صالح النهمي (وهو يقوم بالدعوة والتدريس في ذمار، وسعوا في إخراجهم من مسجده)، وكذلك الشيخ أبو عبد الله محمد باجمال الحضرمي (في

حضر موت)، والشيخ يحيى الديلمي (في معبر)، والشيخ أبو عبد السلام حسن بن قاسم الريمي (بتعز)، وغيرهم الذين لم أستحضرهم الآن، حفظهم الله جميعاً.

وكذلك الشيخ محمد بن إبراهيم المصري، والشيخ أبو بكر بن ماهر بن عطية، والشيخ ماجد المدرس (كل الثلاثة بمصر)، والشيخ سليم بن عيد الهلالي (في أردن)، وغيرهم من العلماء الثابتين حفظهم الله.

كلهم موافقون للشيخ يحيى حفظه الله في هذه الفتنة المرعية، ويعلمون بالحجج والأدلة أنه على الحق المبين. إذا كان محمد بن عبد الله الريمي مع قلة مدة دراسته عند الإمام الوادعي رحمه الله (حوالي ٣ سنوات) يعتقد أنه جدير للاجتهاد، فكيف هؤلاء المشايخ الذين صبروا على طلب العلم سنين طويلة متوالية مع التوفيق من الله تعالى، سواء تتلمذوا عند الإمام الوادعي أو عند غيره من علماء العصر؟ أليسوا أجدر من محمد الريمي أن يجتهدوا وتعتبر أقوالهم ومخالفاتهم؟

وقد ذكرت في رسالة "عزاء في شيخنا المجاهد السلفي سعيد بن دعاس اليافعي" من مناقب الشيخ سعيد بن دعاس اليافعي رحمه الله. وذكرت في رسالة: "ضربات السيوف الباترة على سلاسل الحملات الجائرة" من مناقب مشايخ السنة الثلاثة: أبي عبد الله محمد بن حزام الإبي، وأبي محمد عبد الحميد الحجوري، وأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الإرياني حفظهم الله الدالة على أهليتهم للجهاد. كل ذلك رد على مزاعم محمد الإمام وغيرهم أنه ليس مع الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله أحد من العلماء.

الفصل الثاني: من مناقب شيخنا المفضل أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري حفظه الله

في هذه الرسالة سأذكر من مناقب شيخنا المفضل أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري حفظه الله.

هو شيخنا أبو عمرو عبد كريم بن أحمد بن حسين العمري الحجوري -حفظه الله ورعاه-. قال عنه الإمام مقبل رحمه الله: يحفظ القرآن، و"اللؤلؤ والمرجان"، داعية إلى الله اهـ. ("ترجمة أبي عبد الرحمن مقبل" رقم ٢٢٠/ دار الآثار).

وقال شيخنا يحيى حفظه الله في "الطبقات" ص ٤٩/ دار الآثار: سني، ثبت، مدرس، وخطيب، يحفظ القرآن، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، له "عقود الجمان على اللؤلؤ والمرجان"، و"تلبية الأمان في أفراد البخاري"، و"نسائج الديباج في أفراد مسلم بن الحجاج"، و"شرح قطف الثمر لصديق حسن خان"، ورسائل أخرى اهـ.

وقال شيخنا طارق البعداني حفظه الله: يرسله شيخنا يحيى حفظه الله إلى دول شتى للدعوة إلى الله، منها الصومال، والهند، وغيرهما. ويصحبه الشيخ الفاضل زايد الوصابي، ونعم الصاحب. فجزاهما الله خيراً. وله كتب مؤلفة لست بصدد سردها ... إلخ (كتاب "الرد الشرعي" / لشيخنا طارق بن محمد البعداني / ص ٨٢ / تحت

الطبع).

فمن نظر في تصانيف شيخنا أبي عمرو الحجوري حفظه الله الكثيرة المتنوعة الفنون النافعة اعترف بأهليته للاجتهد.

فمن تصانيف شيخنا أبي عمرو الحجوري حفظه الله:

١ - تحذير أولياء الأمور من خطر المغالاة في المهور (ط. دار الإمام أحمد)

٢ - الباب المفتوح على الجمع بين الصحيحين للحميدي ابن الفتوح (ط. دار الإمام أحمد)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد قرأت ثلاثة الرسائل التي أرسلها إلي الشيخ الفاضل أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله للاطلاع عليها وهي: رسالة: "تحذير أهل الفجور من جريمة شهادة الزور"، ورسالة: "الباب المفتوح على الجمع بين الصحيحين للحميدي ابن الفتوح"، أبان فيها ما وهم فيه الإمام الحميدي رحمه الله في كتابه الجمع بين الصحيحين في العزو. وتحقيق رسالة الصنعاني في شرحه وتعليقه على حديث ابن مسعود: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله عشر حسنات)، مع ذيله للمحقق عليها. فرأيت هذه الثلاثة الرسائل كلها مفيدة نافعة كما هو شأن في بحوث الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظه الله من حيث عنايته بجمع الأدلة على ذلك؛ فجزاه الله خيراً ونفع به.

٣ - تحذير أهل الفجور من جريمة شهادة الزور

٤ - تحقيق رسالة الصنعاني في شرحه وتعليقه على حديث ابن مسعود: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله عشر حسنات، مع ذيله (ط. دار الإمام أحمد)

٥ - مختصر صحيح مسلم، صنفه مع الشيخ الفاضل أبي عبد الله زايد الوصابي (ط. دار الإمام أحمد)

٦ - العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على الأدلة الصريحة (ط. مكتبة الإمام الوادعي)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد قرأت رسالة "العقيدة الإسلامية الصحيحة" لأخيها الشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري حفظه الله فرأيتها رسالة على صغر حجمها مفيدة جداً، أرجو أن يكون لها في بابها شأن عظيم ونفع عظيم لأن أخانا أبا عمرو وفقه الله قد لخص فيها عدة من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة، متحريراً في ذلك صرح أدلة الوحي المبين، بأخصر عبارة وأحسن تفسير، فجزاه الله خيراً ونفع به وبمؤلفه المسلمين.

٧ - إرشاد الأخيار إلى وجوب الهجرة من بلاد الكفار (ط. دار الإمام أحمد)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد عرض عليّ أخونا الفاضل الشيخ أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله رسالته التي سماها: إرشاد الأخيار إلى وجوب الهجرة من بلاد الكفار للنظر فيها، وطلب مني كلمة في الموضوع. وبعد قراءة الرسالة رأيتها كافية في بابها إن شاء الله، ... إلخ.

٨ - تحقيق وتخريج على تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني (ط. دار الآثار)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد قرأت كتاب "تذكرة السامع والمتعلم" للإمام ابن جماعة قراءة المقتبس المستفيد مع ما حلاه به الشيخ الفاضل أبو عمرو الحجوري حفظه الله من تحقيق وتعليق شديد، فرأيت أن الكتاب المذكور يستحق التدريس لما فيه مما يحتاجه العالم والمتعلم وسائر من يسمع تلك التوجيهات الصادرة من عالم مجرب رشيد، فعليه رحمة الله، وجزى الله خيرا أخانا الشيخ أبا عمرو على ما بذله في تحقيق الكتاب المذكور من جهد حميد، وبالله التوفيق.

٩- النصح البديع لجماعة التبليغ (ط. دار الإمام أحمد)

١٠- نسائج الديباج بأفراد الإمام مسلم بن الحجاج (ط. دار الإمام أحمد)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد أطلعني أخونا الفاضل الشيخ أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله على بحثه الذي جمعه مما انفرد به الإمام مسلم رحمه الله تعالى على البخاري، وقد سبق أن جمع ما انفرد به البخاري على مسلم وأعانه على ذلك حفظه وإدمانه للنظر فيهما. هذا وإن أخانا الشيخ أبا عمرو قد تحرى في أفراد مسلم هذا بعض الأمور التي تجعل للكتاب ميزة عن غيره في بابيه وهي غير ما ذكره أخونا أبو عمرو من إبقاء مقدمة مسلم إذ هي من مفاريد وغير ذلك مما هو مذكور في مقدمة الكتاب. فجزى الله أخانا الفاضل الشيخ أبا عمرو الحجوري خيرا وأن ييسر طبع الكتاب ونشره ليتنفع به المسلمون.

١١- النفع الشذي على منظومة الزمزمي في علم التفسير (ط. المتفوق)

١٢- تحقيق وتخريج وتعليق على قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ط. مكتبة صنعاء الأثرية)

١٣- تحقيق وتخريج وتعليق على الخلاصة في معرفة الحديث للإمام الطيبي (ط. دار الآثار).

١٤- حدائق الأبرار بشرح منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية (ط. مكتبة الفلاح).

١٥- الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد قرأت بعض كتاب "الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر" للشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري فرأيته شرحا مباركا بذل فيه هذا الشيخ المبارك جهدا طيبا بما نرجو أن يكون هذا السفر في عقيدة السلف مرجعا مهما لا يستغني عنه في بابيه. ونرجو أن يجعل الله مؤلفه مرجعا للمسلمين، وينشر على يديه كثيرا من علوم هذا الدين، وبالله التوفيق.

١٦- إتحاف النجباء بما حصل للأنباء والصالحين من أقوامهم من الابتلاء (ط. دار الآثار).

١٧- الغفلة عن النعم سبب دمار الأمم (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد تصفحت كتاب "سبب دمار الأمم" لأخينا فضيلة الشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري فرأيته كتابا حافلا مهما في بابيه اشتمل على قصص تفيد قارئها عبرة وعظة وحذرا من أمثالها!! مع ما فيه من نصائح علمية نافعة فأجاد وأفاد، وجزاه الله خيرا.

١٨- قلائد الجوهر والتيجان على علوم القرآن (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد قرأت ما ألفه أخونا الشيخ الفاضل أبو عمرو عبد الكريم الحجوري العمري حفظه الله في هذا المجموع الطيب المسمى: "قلائد الجوهر والتيجان على علوم القرآن"؛ الذي قصد به أن يكون مدخلا لما هو شارع فيه من تفسير للقرآن بعنوان: "الجامع المحيط لأصول التفسير وما تفرق شهاطيط"، فرأيت هذه المقدمة المذكورة مفيدة نافعة لذاتها جدا؛ وهي لما بعد أنفع. ونسأل الله أن ييسر ما بعدها ويعظم النفع بها وبمؤلفها، ويجزيه خير الجزاء على ما يقوم به من بحوث نافعة، وجهود مباركة، وبالله التوفيق.

١٩ - الجامع الصحيح في توحيد رب العالمين (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... ومن هذا الباب إن شاء الله هذا الجهد المبارك في هذا السفر الميسر المفيد في علم التوحيد الذي وفق الله له أخانا المفضل الشيخ أبا عمرو عبد الكريم الحجوري، كثر الله خيره، ونفعه، ونفع به غيره، وبالله التوفيق.

٢٠ - تحقيق عمدة الأحكام (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد اطلعت على "تحقيق عمدة الأحكام" لأخيها الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظه الله فرأيت تحقيقا طيبا بذل فيه أخونا الجليل أبو عمرو جهدا مشكورا في تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها، وأهم من ذلك ما قام به من التنبيهات على ألفاظ الروايات فرب رواية أو لفظة ينبنى عليها حكم عظيم. وأيضا قام حفظه الله بتعقبات مفيدة على تحقیقات مسبقة على الكتاب غير متينة مما جعل لتحقيق أخيها أبي عمرو وخدمته لهذا الكتاب المتداول بالغ الأهمية من تصحيح بعض ما علق في أذهان طلبة العلم الذين ربما حفظوا الكتاب على ما فيه من الأخطاء في العزو والألفاظ. فجزى الله أخانا أبا عمرو خيرا ونفع به.

٢١ - النرجس بقرار الأرض وجريان الشمس (ط. مكتبة ابن سيرين الأثرية).

٢٢ - نصيحة عابرة على متن الطائفة (ط. مكتبة الإمام الوادعي).

٢٣ - نعمة المنان بتفسير وبيان كلمات القرآن (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... ولقد سرتني ما قام به أخونا الشيخ الفاضل أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله من هذه الخدمة لكلمات القرآن وأسباب نزوله، وبعض أحكامه، الذي يعتبر تفسيراً مختصراً مفيداً متحريراً في ذلك كله كتاب الله، وصحيح سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وقد وفق في ذلك حسبا قرأت من البحث توفيقا عظيما فجزاه الله خيرا ونفع به.

٢٤ - الإشفاق ببيان مصارع العشاق (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فرسالة "الإشفاق ببيان مصارع العشاق" لأخينا الشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري رسالة نافعة جميلة مفيدة في بابها كما هو شأنه في رسائله وبحوثه حيث يعتني فيها بالأدلة والنقول الموثقة، وإبراز وجهة نظره المتحررة من ربة التقليد، فجزاه الله خيرا.

٢٥ - التوجيهات السنية في بيان أهم عوائق الدعوة السلفية (ط. مكتبة صنعاء الأثرية)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد اطلعت على رسالة "التوجيهات السنية" لأخينا الفاضل الشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري فرأيتها مفيدة تحتوي على نصائح قيمة، ذكر بعض أهم الأمور التي تعترض الدعوة السلفية، مع بيان أهم وسائل النجاح في الدعوة إلى الله وغيرها، فجزاه الله خيرا.

٢٦ - الوسام الفضي بالزي الشرعي (ط. دار الإمام أحمد)

٢٧ - القواعد السديدة لفهم التوحيد والعقيدة (ط. مكتبة الفلاح)

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد طالعت هذه الرسالة المختصرة "القواعد السديدة لفهم التوحيد والعقيدة" لأخينا الفاضل الشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله فرأيتها رسالة مفيدة في بابها اشتملت على قواعد وتعريف لها أهميتها في بابها. فجزى الله الشيخ أبا عمرو على ذلك خيرا.

٣٠ - المختصر في أصول الحديث للشيخ الجرجاني (ط. مكتبة الإمام الوادعي)

٣١ - مختصر الشريعة للآجري (ط. دار الآثار).

قال فضيلة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله في تقديمه على هذا الكتاب: ... فقد طلب مني أخونا الشيخ الفضال أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله أن أطلع على مختصره هذا لكتاب "الشريعة" للإمام الآجري رحمه الله بحيث حذف من الكتاب شيئين وهما: الضعيف وأسانيد الثابت. وهذا العمل في الجملة عمل جيد لمن لا قدرة له على التمييز بين ما يصلح للاحتجاج أو الاستشهاد من تلك الأحاديث وما لا يصلح، وتخفيفا من طول الكتاب لرغبة كثير من الناس في المختصرات. والاختصار من فنون التصنيف كما هو معلوم من التصانيف في هذا الباب، فما ذكر هو من مسوغات ما رآه الشيخ أبو عمرو أثابه الله على جهده واجتهاده. وأملنا فيه عز وجل أن ينفع بالكاتب والكتاب، والحمد لله.

وبقي بعض تصانيف الشيخ حفظه الله لم أستحضرها الآن.

وهذه كلها وغيرها تدل دلالة بيّنة على قوة علمه وعظيم توفيق الله له، أكثر وأعظم مما في بعض المنتسبين للعلم ولكنهم أخلدوا إلى الأرض، واتبعوا أهواءهم، وتستروا بالتقليد عند ارتكاب الأخطاء، مع ازدراء الغير. والله أعلم وبه التوفيق.

الفصل الثالث: تنبيه مرة ثانية على حقيقة العلم والفقه

إن العلم معرفة الشيء على ما هو عليه معرفة جازمة. قال المناوي رحمه الله: العلم الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع. ("التعاريف" / ص ٥٢٣-٥٢٤).

ولا يكون العلم إلا أن يكون مبنياً على الدليل. قال شيخ الإسلام رحمه الله: إن العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، فالشأن في أن نقول علماً، وهو النقل المصدق، والبحث المحقق. ("مجموع الفتاوى" / ٦ / ص ٣٨٨).

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم. ("جامع بيان العلم وفضله" / لابن عبد البر / ٣ / ص ١٧٦).

ثم اعلم أن حقيقة العلم والفقه ليس مجرد حفظ العلوم، ومعرفة الأدلة، وفهم النصوص فقط. بل لا بد للعالم الفقيه أن يجمع بين هذه الأشياء والعمل بمقتضاها. هذا هو العالم الفقيه حقاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر / ٢٨]

قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه. ("جامع البيان" / ٢٠ / ص ٤٦٢).

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في أمر دينه، المداوم على عبادة الله عز وجل. ("أخلاق العلماء" / للآجري / رقم ٤٧ / صححه شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله / دار الآثار).

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله. (أخرجه الدارمي / رقم (٣٤٣) / صححه شيخنا يحيى الحجوري في "العرف الوردية" / ص ١٥٩ / ط. دار الآثار).

وقد ظهر من الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظه الله حرصه على معرفة الحق واتباعه له بعد ما تبين له، بخلاف أهل الهوى الذين لم يحرصوا على معرفة الحق، وإذا ظهر الحق على خلاف هواهم عاندوه وعادوا حملته حسداً وبغياً، فليسوا من العلماء ولا الفقهاء وإن كبرت أسنانهم وكثرت كتبهم.

قال الإمام البرهاري رحمه الله: واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ولكن العالم: من اتبع العلم والسنة وإن كان قليل العلم والكتب ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب. ("طبقات الحنابلة" / ٢ / ص ٣٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالمجتهد الاجتهاد العلمي المحض ليس له غرض سوى الحق وقد سلك طريقه، وأما متبع الهوى المحض فهو من يعلم الحق ويعاند عنه. ("مجموع الفتاوى" / ٢٩ / ص ٤٤).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول، أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار. ("اقتضاء الصراط المستقيم" / ١ / ص ٢٥٧).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل. ("مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ١١٥ / المكتبة العصرية).

فهذا البيان كاف للدلالة على انتفاع الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظه الله بما أعطاه الله من العلم والفقه فاستحق بذلك، وأن من حسده واحتقر به ويتكبر عليه ويكثر ادعاء العلم والعظمة ويلزم الناس على تقليده بقوله: (كونوا مع المشايخ) (لا تسبقوا مشايخ السنة) (عليكم بالعلماء)، فليس هو عالماً حقيقياً.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعى العلم ولا يفخر به على أحد ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعته على أحد. وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل وتقصصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأرداها. ("فضل علم السلف على الخلف" / ص ٨).

فنقول لهؤلاء الحزبيون كبارهم وصغارهم المحتقرين بالشيخ أبي عمرو الحجوري وإخوانه:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً إنه لدميم

("نهاية الأرب في فنون الأدب" / ١ / ص ٣٤٦).

والعلم والحق لا يناطان على كبر العمر وصغره، وكم من صغار السن لما كانوا حريصين على طلب الحق ومتواضعين لرهبهم عز وجل وفقهم الله على ما يرضاه. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف/ ١٣، ١٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فذكر تعالى أنهم فتية -وهم الشباب- وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً. ("تفسير القرآن العظيم" / ٥ / ص ١٤٠).

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: فقد ساد بالعلم قديماً الصغير والكبير، ورفع الله درجات من أحب. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٥٠١ / دار ابن الجوزي).

ولا يلزم أن يكون هؤلاء المشايخ الثابتون قد بلغوا الشهرة العظيمة في اشتراط الاجتهاد. قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله: ويعتبر في صحة الإجماع اتفاق كل من كان من أهل الاجتهاد سواء كان معروفاً مشهوراً أو خاملاً مستوراً. ("اللمع" / ص ١٨٨ - ١٨٩ / المكتبة التوفيقية).

الفصل الرابع: من هم أهل الحديث؟

قال أبو محمد ابن قتيبة رحمه الله: فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبهم لآثاره وأخباره برا وبحرا وشرقا وغربا، ... إلخ. ("تأويل مختلف الحديث" / ص ٧٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه، أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا، واتباعه باطنا وظاهرا، وكذلك أهل القرآن. ("مجموع الفتاوى" / ٤ / ص ٩٥).

وقال رحمه الله: يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها، تصديقا وعملا وحباً وموالاة لمن والاه، ومعاداة لمن عادها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه. ("مجموع الفتاوى" / ٣ / ص ٣٤٧).

وقال رحمه الله: أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف، ... إلخ. ("مجموع الفتاوى" / ٦ / ص ٣٥٥).

هؤلاء هم أهل الحديث.

وقد رأينا شدة اهتمام شيخنا أبي عمرو الحجوري بإسناد الحديث وامتنه، وصحته وسقيمه، وحفظه والانقياد له، فهو كغيره من مشايخ السنة أنهم من جملة أهل الحديث بفضل الله وكرمه، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

وله ولجميع مشايخ السنة الثابتين قسط ممن أثنى عليهم الإمام ابن القيم رحمه الله: والحمد لله الذي أقام في أزمنة الفترات من يكون بيان سنن المرسلين كفيلا، واختص هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمره، ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلة يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، ويحيون بكتابه الموتى. فهم أحسن الناس هديا، وأقومهم قيلا. فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رشده قد هدوه، ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق قد رموه جهادا في الله وابتغاء مرضاته وبيانا لحججه على العالمين وبيناته وطلبا للزلفى لديه ونيل رضوانه وجناته، فحاربوا في الله من خرج عن دينه القويم وصراطه المستقيم الذين عقدوا ألوية البدعة، ... إلخ. ("مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ٧ / ط. المكتبة العصرية).

الفصل الخامس: أهل الأهواء يحتقرون بأهل الحديث ويبغضونهم ويطعنون فيهم

قال الحاكم النيسبوري رحمه الله: وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة، ويسميها الحشوية... إلخ. ("معرفة علوم الحديث" / ١ / ص ٧).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فصل: في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وخاصته ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر: يا مبغضاً أهل الحديث وشائماً * أبشر - بعقد ولاية الشيطان. ("الكافية والشافية" / ١ / ص ٥٧).

وهي من علامات أهل البدع من قديم الزمن. قال الإمام أبو حاتم الرازي رحمه الله: علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر. ("عقيدة السلف" / ص ١١٠ / للإمام الصابوني / دار المنهاج / حسن لغیره).

وقال أحمد بن سنان القطان رحمه الله: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث؛ وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه ("عقيدة السلف" / ص ١٠٩ / للإمام الصابوني / دار المنهاج / حسن لغیره).

وهكذا الحزبيون. قال الإمام الوادعي رحمه الله: ومن علامات الحزبيين أنهم يسخرون من العلماء ويزهدون في مجالسة العلماء وهذا مما تقر به أعين أعداء الإسلام بل مما تقر به أعين الشياطين والله المستعان. ("غارة الأشرطة" / ١ / ص ٥٧٩ / مكتبة صنعاء الأثرية).

هذه الآثار كلها تنطبق على الحزبيين.

وبعض الحزبيين يرون أن العلم محصور على مشايخهم الموافقين لأهوائهم، وأما غيرهم - وهم ثابتون على الكتاب والسنة والسلفية - ليسوا من زمرة العلماء - عندهم - مهما بلغوا ما بلغوا في العلم. وكثير من هؤلاء الحزبيون يلزمون الناس على تقليد مشايخهم مع نبذ الحجج والبراهين مهما كثرت ووضحت ما دام مشايخهم لم يقولوا بذلك، واقع حالهم يقول إن الحق والعلم محصوران على ما مشايخهم ومقولاتهم.

قال الشوكاني رحمه الله: وليس ما يقوله من كان من أسراء التقليد بلازم لمن فتح الله عليه أبواب المعارف، ورزقه من العلم ما يخرج به عن تقليد الرجال. وما هذه بأول فاقرة جاء بها المقلدون، ولا هي بأول مقالة باطلة قالها المقصرون. ومن حصر فضل الله على بعض خلقه وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم عصره فقد تجرأ على الله عز وجل، ثم على شريعته الموضوعية لكل عباده، ثم على عبادة الدين تعبدهم الله بالكتاب والسنة. وبالله العجب من مقالات هي جهالات وضلالات، فإن هذه المقالة تستلزم رفع التعبد بالكتاب والسنة، وأنه لم يبق إلا تقليد الرجال الذين هم متعبدون بالكتاب والسنة كتعبد من جاء بعدهم على حد سواء فإن كان التعبد بالكتاب والسنة مختصا بمن كانوا في العصور السابقة ولم يبق لهؤلاء إلا التقليد لمن تقدمهم، ولا يتمكنون من معرفة أحكام الله من كتاب الله وسنة رسوله، فما الدليل على هذه التفرقة الباطلة والمقالة الزائفة؟ وهل النسخ إلا هذا؟ سبحانه هذا بهتان عظيم.

("إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" / ٢ / ص ١٠٤١ / ط. دار الفضيحة).

أولم يعلم الحزبيون أن كثيرا من مشايخهم صاروا مقلدين متعصبين في كثير من القضايا، وصاروا بذلك الصنيع - عند التحقيق - ليسوا من العلماء.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: وقال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين وإدراك المعلوم على ما هو فيه، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقلد لا علم له ولم يختلفوا في ذلك. ("جامع بيان العلم وفضله" / لابن عبد البر / ٣ / ص ٢٣٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما التعصب لأمر من الأمور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠]. ("مجموع الفتاوى" / ١١ / ص ٢٨).

فالتوفيق والرفعة مع المهتمين والعلم الشرعي المتجردين للحق، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شأن أئمة القرن الرابع: ... فسلكوا على آثارهم اقتصاصا واقتبسوا هذا الأمر عن مشكاتهم اقتباسا وكان دين الله سبحانه أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأيا أو معقولا أو تقليدا أو قياسا فطار لهم الثناء الحسن في العالمين وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم زاهدين في التعصب للرجال واقفين مع الحجة والاستدلال يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه إذا بدا لهم الدليل بأخذته طاروا إليه زرافات ووحدانا

وإذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إليه ولا يسألونه عما قال برهانا ونصوصه أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليها قول أحد من الناس أو يعارضوها برأي أو قياس .
(انتهى من "إعلام الموقعين" / ١ / ص ٦-٧).

وأما من تعصب واتبع الهوى فسقوطهم بسبب ذنوبهم لا بما زعموا أن أهل دماج يسعون في إسقاط العلماء .
قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إخراج المتعصب عن زمرة العلماء . ثم خلف من بعدهم خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون ورءوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب . ولسان الحق يتلوا عليهم: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ قال الشافعي قدس الله تعالى روحه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ص - لم يكن له أن يدعه لقول أحد من الناس .

قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .

فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء، وسقوطهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الأنبياء، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . وكيف يكون من ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى، ولا يشعر بتضييعه؟ تالله إنها حفاظ الحديث فتنة عمت فأعمت ورمت القلوب فأصمت، ربا عليها الصغير وهرم فيها الكبير، واتخذ لأجلها القرآن مهجورا، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطورا . ولما عمت بها البلية وعظمت بسبها الرزية بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها ولا يعدون العلم إلا إياها، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل، وبغوا له الغوائل ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد وقالوا لإخوانهم: ﴿إنا نخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ .

فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة ألا يلتفت إلى هؤلاء ولا يرضى لها بما لديهم وإذا رفع له علم السنة النبوية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم، فما هي إلا ساعة حتى يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور وتتساوى أقدام الخلائق في القيام لله، وينظر كل عبد ما قدمت يداه، ويقع التمييز بين المحقين والمبطلين ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم أنهم كانوا كاذبين .

(انتهى من "إعلام الموقعين" / ١ / ص ٧-٨).

الباب الثالث: شبهة حول حديث «البركة مع أكابركم»

وقد هوّن بعض أهل الباطل شأن شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري ومن معه من أمثال الشيخ أبي عمرو الحجوري حفظهم الله لأنهم لم يبلغوا ستين ولا سبعين سنة من العمر. واستدل بعضهم بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البركة مع أكابركم»^(١).
فقلنا -وبالله التوفيق-:

الجواب الأول: قد ذكر العلماء أن المفتي المعتبر هو مسلم بالغ عاقل موفٍ لشروط الاجتهاد والإفتاء، وليس كبر العمر شرطاً لصحة الفتوى.

^(١) يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أخرجه ابن حبان (٥٥٩)، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" (٣٥٥)، والطبراني في "الأوسط" (٨٩٩١)، كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. ظاهر السند الصحة، ولكن تكلم فيه الحفاظ.

قال ابن حبان رحمه الله: لم يحدث بن المبارك هذا الحديث بخراسان إنما حدث به بدرم الروم فسمع منه أهل الشام وليس هذا الحديث في كتب ابن المبارك مرفوعاً. ("صحيح ابن حبان" / ٢ / ص ٣٢٠).

وقال الزركشي رحمه الله: رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عباس مرفوعاً، وقال الحاكم: على شرط البخاري.

وفي صحته نظر وله علة وهي: أن الوليد بن مسلم روى من حديث ابن عباس وأنس.

فحديث ابن عباس رواه عن ابن المبارك عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس. وابن المبارك حدث به الوليد بدرم الروم ولم يكن كتبه معه، وهو في كتب ابن المبارك غير مرفوع، ولم يحدث به بخراسان.

قال الصيرفي: رواه جماعة عن الوليد، وعن نعيم أيضاً عن الوليد. وقيل: عن نعيم عن ابن المبارك، وسوّوهم لأن نعيماً قد سمع من ابن المبارك غير أن هذا الحديث سمعه من الوليد عنه، قاله الحافظ أبو موسى المديني.

وقال ابن أبي السري عن الوليد: كنا مع ابن المبارك في بلاد الروم، فتذكرنا أم الكتاب، فحدثنا ابن المبارك بهذا. ولم يروه عن خالد الحذاء إلا ابن المبارك. وقد رواه ابن هشام بن عماد عن الوليد عن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، وقيل: إنه الأصوب.

(انتهى من "الآلئ المشورة في الأحاديث المشهورة" / للزركشي / ص ٨٠).

وقال محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله: والأصل فيه مرسل. ("ذخيرة الحفاظ" / ٢ / ص ١١٢٦).

وقال ابن عدي رحمه الله: وهذا لا يروى موصولاً إلا، عن ابن المبارك روى عنه نعيم بن حماد، والوليد بن مسلم وبقيّة هذا والأصل فيه مرسل. ("الكامل في ضعفاء الرجال" / ٢ / ص ٢٧٠).

الجواب الثاني: الحديث ضعيف على الراجح، وإنما من مراسيل خالد الحذاء رحمه الله. انظر في الحاشية.

الجواب الثالث: يحتمل أن يكون المراد هنا كبر السن ويحتمل كبر العلم. وعلى كلا الاحتمالين: الحديث لا يتكلم في شروط الإفتاء.

قال الحافظ محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي رحمه الله في شرح هذا الحديث -وما في معناه- ذكر أنه يجوز أن يريد بذلك: ذوو الأسنان والشيخوخ الذين لهم تجارب، وقد كملت عقولهم، وسكنت حدّتهم، وكملت آدابهم، وزالت عنهم خفة الصبي، وحدة الشباب، وأحكموا التجارب، فمن جالسهم تأدب بآدابهم، وانتفع بتجاربهم، فكان سكونهم ووقارهم حاجزا لمن جالسهم، وزاجرا لهم عما يتولد من طباعهم، ويتبرك بهم^(٢). ويجوز أن يريد بذلك: الكبراء في الحال، ومن له رتبة في الدين، ومنزلة عند الله، وإن لم يكن كبيرا في السن. ("معاني الأخبار"/ للكلاباذي/ ص ١٠٠).

وقال المناوي رحمه الله: «البركة مع أكابرهم» المجربين للأموار المحافظين على تكثير الأجور فجالسوهم لتقتدوا برأيهم وتهتدوا بهديهم، أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه، فيجب إجلالهم حفظا لحرمة ما منحهم الحق سبحانه وتعالى. ("فيض القدير شرح الجامع الصغير"/ رقم (٣٢٠٥)).

فإن كان الراجح هو الاحتمال الثاني: أن البركة مع العلماء، لا مجرد كبار السن، فصار الحديث حجة على هؤلاء المبطلين. وقد رجحه بعض الأئمة. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الأحاديث: إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وإن الكبير هو العالم في أي سن كان، وقالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٤٩٩ - ٥٠٠ / دار ابن الجوزي).

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: ومما يدل على أن الأصاغر ما لا علم عنده: ما ذكره عبد الرزاق وغيره، عن معمر، عن الزهري، قال: كان مجلس عمر مغتصا من القراء شبابا وكهولا، فربما استشارهم ويقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٥٠١ / دار ابن الجوزي).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أُقْرَأُ رِجَالاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ (أخرجه البخاري/ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة/ رجم الحبل من الزنى... / (٦٨٣٠) / دار الكتب العلمية).

(٢) قلت -وبالله التوفيق-: أما التبرك بهم ففيه نظر. فالمؤمن قد يجعل الله فيه بركة، ولكن لا يشرع التبرك بذات شخص إلا ذوات الأنبياء عليهم السلام.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: ففيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم، وقد كان حكيم ابن حزام يقرأ على معاذ بن جبل فقل له تقرأ على هذا الغلام الخزرجي فقال: إنما أهلكنا التكبر اهـ. ("كشف المشكل" / مسند عمر بن الخطاب / ١ / ص ٦٣ / دار الوطن).

وقال ابن المديني رحمه الله: إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِالسِّنِّ اهـ. ("الآداب الشرعية" / للإمام ابن مفلح / فصل في أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن / ص ٣٦٤ / مؤسسة الرسالة).

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: الْعُلَامُ أُسْتَاذٌ إِذَا كَانَ ثِقَةً اهـ. ("الآداب الشرعية" / للإمام ابن مفلح / نفس المصدر).

الجواب الرابع: ولو فرض أن المراد كبر الأسنان، ليس في الحديث ما يدل على أنه من شروط صحة الإفتاء. إنما هذا من باب الحث على مجالستهم، وتوقيرهم، وفضيلة ذلك. وقد أخرجه ابن حبان رحمه الله في "صحيحه" (٥٥٩) في باب: ذكر استحباب التبرك للمرء بعشرة المشايخ أهل الدين والعقل.

والحديث أخرجه البيهقي رحمه الله في "شعب الإيمان" (١٠٤٩٣) في باب: رحم الصغير وتوقير الكبير. وأخرجه الخرائطي رحمه الله في "مكارم الأخلاق" (٣٥٥) باب: إكرام الشيوخ وتوقيرهم. وقال الحافظ محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: وقد أمر بتوقيرهم بقوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يوقر كبيرنا، فليس منا». ("معاني الأخبار" / للكلاباذي / ص ١٠٠).

الجواب الخامس: ويحتمل أن يراد بالأكابر: هم الصحابة رضي الله عنهم، والصلحاء، وأصحاب الشرف، لا مجرد كبر السن. فالحديث أخرجه أيضا الإمام ابن عبد البر رحمه الله في "الجامع لبيان العلم" (١٠٥٣) تحت باب: حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال.

وقال رحمه الله: وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك، أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع، ولا يذهب إلى السن. قال أبو عبيد: وهذا وجه. قال أبو عبيد: والذي أرى أنا في الأصاغر: أن يؤخذ العلم ممن كان بعد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقدم ذلك على رأي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلمهم فذاك أخذ العلم عن الأصاغر. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٤٩٦ / دار ابن الجوزي).

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: وقد يحتمل حديث هذا الباب أن يكون أراد أن أحق الناس بالعلم والتفقه أهل الشرف والدين والجاه، فإن العلم إذا كان عندهم لم تأنف النفوس من الجلوس إليهم، وإذا كان عند غيرهم وجد الشيطان إلى احتقارهم السبيل، وأوقع في نفوسهم أثره الرضا بالجهل أنفة من الاختلاف إلى من لا حسب له ولا دين وجعل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها، ومن أسباب رفع العلم. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٥٠٠ - ٥٠١ / دار ابن الجوزي).

الجواب السادس: ليس في تركيب الكلام ما يدل على حصر البركة على الأكابر، بخلاف لو قدّم الخبر - أو المتعلق بالخبر المحذوف -، فتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وليس في الحديث ما يدل على ذلك.

الجواب السابع: إن الله تعالى قد أشار في القرآن إلى فضيلة الشباب القائمين بدين الله. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف/ ١٣، ١٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فذكر تعالى أنهم فتية -وهم الشباب- وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا. ("تفسير القرآن العظيم" / ٥ / ص ١٤٠).

فالبركة من الله تبارك وتعالى، وهي مع من شاء الله كباراً وصغاراً.

الجواب الثامن: واقع السلف رضي الله عنهم يدل على أن الإفتاء لا يناف على كبر السن، بل يناف على الأهلية. فكم من مفت في عهد السلف وهو لم يبلغ السن الكبير. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: واستشهدوا بأن عبد الله بن عباس كان يستفتى وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد كانا يفتيان الناس وهما صغيرا السن، وولاهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الولايات مع صغر سنهما، ومثل هذا في العلماء كثير. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٥٠٠ / دار ابن الجوزي).

وقال رحمه الله: فقد ساد بالعلم قديماً الصغير والكبير، ورفع الله درجات من أحب. ("جامع بيان العلم" / ١ / ص ٥٠١ / دار ابن الجوزي).

الجواب التاسع: إن الواقع في هذا العصر يدل على أن كثيرا ممن يدندن حول هذا الحديث ليصدوا عن علماء السنة هم أهل الأهواء الذين يصدون الناس عن قبول الحق تحت ستار: "إنهم صغار الأسنان!" فقد أصيب أهل الأهواء بداء الجاهلية. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: ومن الآفات المانعة عن الرجوع إلى الحق: أن يكون المتكلم بالحق حدث السن -بالنسبة إلى من يناظره- أو قليل العلم أو الشهرة في الناس، والآخر بعكس ذلك، فإنه قد تحمله حمية الجاهلية والعصية الشيطانية على التمسك بالباطل أنفة منه عن الرجوع إلى قول من هو أصغر منه سنا أو أقل منه علما، أو أخفى شهرة، ظنا منه أن في ذلك عليه ما يحط منه وينقص ما هو فيه، وهذا الظن فاسد فإن الخط والنقص إنما هو في التصميم على الباطل، والعلو والشرف في الرجوع إلى الحق، بيد من كان، وعلى أي وجه حصل اهـ. ("أدب الطلب" / ص ٥٧ / دار الكتب العلمية).

وهم بهذا الصنيع من جملة جنود إبليس. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق منهم، ونواب إبليس وشرطه. ("مدارج السالكين" / ٢ / ص ٤٣٤).

الجواب العاشر: إن مشايخنا هؤلاء -حفظهم الله- قد بلغوا فوق الأربعين من العمر، وهذا لا يقال إنهم صغار السن. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ الآية. [الأحقاف/ ١٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: أي: تنهى عقله وكمل فهمه وحلمه. ويقال: إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين. ("تفسير القرآن العظيم" / ٧ / ص ٢٨٠).

الجواب الحادي عشر: مما يقوّي القول بأن الأكابر هنا العلماء: أن البركة هي ثبوت الخير ونماءه وزيادته. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما البركة فإنها لما كان مسماها كثرة الخير واستمراره شيئا بعد شيء كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر، فهو خير مستمر يتعاقب الأفراد على الدوام شيئا بعد شيء. ("بدائع الفوائد" / ٢ / ص ٦٧٥ / دار عالم الفوائد).

وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خير مع العلم النافع. عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». (أخرجه البخاري (كتاب العلم/ باب من يرد الله به خيرا/ (٧١) ومسلم (كتاب الزكاة/ باب النهي عن المسألة/ (١٠٣٧)). وعن عثمان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن/ باب خيركم من تعلم القرآن/ (٥٠٢٧)).

وأعظم الناس بركة هو أكثرهم نفعا للمجتمع، لا مجرد كبر السن. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها. والمبارك من الناس أينما كان هو الذي ينتفع به حيث حلّ. ("زاد المعاد" / ٤ / ص ١٤١).

وهذا الكلام كاف في بيان رجحان العلم على مجرد كبر السن، وأن أكابر العلم أكثر بركة مجرد من أكابر السن، وأكثر نفعا للناس، وكاف في نفس شبهة من ردّ الحق بمجرد صغر عمر حامله. والله الحمد.

الباب الرابع: هدم الاحتجاج بمجرد الأكثرية

إن الاحتجاج على ثبوت الحق بمجرد الأكثرية من داء الجاهلية. قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله: الخامسة: أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغرته وقله أهله، ... إلخ. ("مسائل الجاهلية" / ص ٦٠ / شرح الفوزان/ دار العاصمة).

وقال العلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله في شرحه عليه: الاعتماد على الكثرة، والاحتجاج بالسواد الأعظم، والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله. فأنزل الله تعالى ضد ذلك وما يبطله، فقال في "الأنعام" [١١٦ - ١١٧]: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحق أحق بالاتباع وإن قل أنصاره - إلى قوله: - ومن أخذ ما عليه الأكثر، وما ألفته العامة من غير نظر الدليل فهو مخطئ، سالك سبيل الجاهلية، مقدوح عند أهل البصائر اهـ. ("شرح مسائل الجاهلية" / ص ٢٦ / دار الآثار).

وقال الإمام أبو شامة رحمه الله: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

قال عمر بن ميمون الأودي: صحبت معاذًا باليمن، فما فارقت حتى واريته بالتراب بالشام، ثم صحبت بعده أفته الناس عبد الله بن مسعود، فسمعتة يقول: (عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة). ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول: (سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصل معهم فإنها لك نافلة). قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون. قال: (وما ذاك؟) قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة. قال: (يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفته أهل هذه القرية. تدري ما الجماعة؟) قلت: لا. قال: (إن جمهور الناس فارقوا الجماعة. وأن الجماعة ما وافق الحق وأن كنت وحدك). وفي رواية: فقال ابن مسعود وضرب على فخذي: (ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى). قال نعيم ابن حماد: يعني: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ. (أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب "المدخل" / ٤). ("الباعث على إنكار البدع والحوادث/ ص ٢٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقد شذَّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم يتحمل هذا عقول الناس، قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أ تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق. فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيح لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اهـ ("إعلام الموقعين" / المثل الثاني والستون / ٣ / ص ٢٨٧ / دار الحديث).

ومن ذلك قصة محنة الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله: أنه كان يقرأ الحديث بعد الجمعة، فاجتمع القاضي محيي الدين، والخطيب ضياء الدين، وجماعة، فصعدوا إلى القلعة، وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس، ويقول بالتشبيه، فعقدوا له مجلساً، فناظرهم، -إلى قوله:- وارتفعت الأصوات، فقال والي القلعة الصارم برغش: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر بكسر منبره. ("سير أعلام النبلاء" / ٢١ / ص ٤٦٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان، زالت الوحشة وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرک. والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرک أو يبدعک بلا حجة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة. فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم. والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم. واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض. ("إعلام الموقعين" / ٣ / ٣٩٦-٣٩٧).

هذا من آفات الحزبيين الذين أصيبوا بالعصبية والتقليد والضعف في طلب العلم. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وألا تغتر بالكثرة، فإن المجتهد هو الذي لا ينظر إلى من قال، بل إلى ما قال، فإن وجد نفسه تنازعه إلى الدخول في قول الأكثرين، والخروج عن قول الأقلين، أو إلى متابعة من له جلالة قدر، ونباله الذكر، وسعة دائرة علم، لا لأمر سوى، فليعلم أنه قد بقي فيه عرقٌ من عروق العصبية، وشعبة من شعب التقليد، وأنه لم يوفِّ الاجتهاد حقه. ("أدب الطلب" / ص ١٠٨ / دار الكتب العلمية).

ومن استدلل على الحق بمجرد الأكثرية فإنه مخطئ جاهل. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: بهذا يتقرر لك أن ليس لأحد من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: الحق ما قاله فلان دون فلان، أو فلان أولى بالحق من فلان. بل الواجب عليه -إن كان ممن له فهم وعلم وتمييز- أن يرد ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو على الحق وهو الأولى بالحق. ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطئ، بل هو معذور، بل مأجور، كما ثبت في الحديث الصحيح أنه: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر» [أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن

عاص رضي الله عنه]، فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله، ولكن هذا إنما هو للمجتهد نفسه، إذا أخطأ، ولكن لا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه، ولا يعذر كعذره، ولا يؤجر كأجره، بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. وإذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم إلى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق ووافقه، وإن كان واحداً، والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق، بل أخطأه، وإن كان عدداً كثيراً، فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم - وإن كان مقصراً - أن يقول: إن الحق بيد من يقتدي به من العلماء، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره. فإن ذلك جهل عظيم، وتعصب ذميم، وخروج من دائرة الإنصاف بالمرة، لأن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق. وليس أحد من العلماء المجتهدين والأئمة المحققين بمعصوم، ومن لم يكن معصوماً فإنه يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب، فيصيب تارة ويخطئ أخرى. ولا يتبين صوابه من خطئه إلا بالرجوع إلى دليل الكتاب والسنة، فإن وافقهما فهو مصيب، وإن خالفهما فهو مخطئ ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم، سابقهم ولاحقهم، كبيرهم وصغيرهم، وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم، وأحق نصيب من العرفان، ومن لم يفهم هذا. ("شرح الصدور بتحريم رفع القبور" / ص 46-47 / مكتبة الإمام الألباني).

وقال الإمام الألباني رحمه الله: مخالفة رأي الجمهور لدليل أمر جائز، أما من غير دليل فلا شك أن النفس تطمئن إلى الأكثرية أكثر من الأقلية، ولكن إن كان هناك دليل فالواجب اتباعه سواء كان موافقاً لرأي الجمهور أو مخالفاً - إلى قوله - ذلك لأنه لا يوجد في الشريعة الحض على التمسك بقول الأكثرية، بل نحن لو أردنا أن نستحضر بعض النصوص لوجدنا النصوص تدمم الأكثرية. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٧]. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتרכת النصراني على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»... إلخ. ("المسائل العلمية والفتاوى الشرعية" / ص ٤٧ / دار الضياء).

وقال الإمام الوادعي رحمه الله تعالى: وإنني أحمد الله إذ وفق أهل السنة بالبعد عن الحزبيات والحزبيين، وأنت أيها السني لو كنت وحدك وأنت على الحق فلا تبال، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، فأنت تتمسك بالدين حتى ولو كنت وحدك. ("تحفة المجيب" / ص ١٥٥ / دار الآثار).

وقال أيضاً الإمام الوادعي رحمه الله تعالى: إياك أن تغتر بكثرة المؤيدين للباطل، ولا الألقاب الضخمة، وكن مع الحق حيثما كان. ("المخرج من الفتنة" / ط ٥ / ص ٧٠ / دار الآثار).

وقال الشيخ صالح فوزان حفظه الله: فالميزان ليس هو الكثرة والقلّة، بل الميزان هو الحق، فمن كان على الحق وإن كان واحداً فإنه هو المصيب، وهو الذي يجب الاقتداء به، وإذا كان الكثرة على الباطل، فإنه يجب رفضها وعدم الاغترار بها،... إلخ. ("شرح مسائل الجاهلية" / ص ٦١ / دار العاصمة).

وأما الحزبيون فليسوا كذلك، فإنهم عجزوا عن إقامة الأدلة على صواب مذهبهم لأن الأدلة لا تساعدهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا ريب أن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح لا عقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبات فإن الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه فلو قام على الباطل دليل صحيح لزم أن يكون حقا مع كونه باطلا وذلك جمع بين النقيضين اهـ. ("الجواب الصحيح" / ٢ / ص ٢٩٨ / دار الحديث).

الباب الخامس: نسف الدخان حول قضية زلات بعض الشعراء

الفصل الأول: موقف شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله

قد كرر شيخنا يحيى حفظه الله أمام الطلاب النهي عن الغلو فيه وقال: (إني أبغض الغلو من قلبي). وكذلك المدح لا يحبه شيخنا حفظه الله. فلما مدحه بعض الشعراء كثيرا قال لهم حفظه الله: جزاك الله خيرا وعفا الله عني وعنك، والله.. والله نحن دون ذلك، نحن طلبة علم، نسأل الله أن يعفو عنا ويتجاوز عنا، والله إننا نعترف لله عز وجل بضعفنا وعجزنا، ونسأل الله أن يتوب علينا، ونحن مقصرون ومذنبون، وإخواننا حفظهم الله يحسنون الظن بنا كثيرا ولسنا عند هذا أبداً، لسنّا عند هذا أبداً، أنا أفيدكم خذوها مني بعلوّ، أنا والله لسنّا عند هذا أبداً، نحن طلاب علم مساكين ضعفاء، نسأل الله رب العالمين أن يتجاوز عنا ويعفو عن إخواننا، والله المستعان وجزاكم الله خيرا اهـ.

هكذا سمعت منه أمام الملاء، وهو مذكور في برامج "فتنة العدني" / لحسين بن صالح التريمي وفرج بن مبارك الحدري حفظهما الله.

قرأ شيخنا يحيى حفظه الله سؤالاً: يقولون إنكم تفرحون بالمدح وتفرحون بمن قال فيكم: إمام الثقلين؟

فأجاب حفظه الله: والله يا أخي، ما أفرح بالمدح لا من قبل ولا من بعد. والله شاهد، والله مطلع على القلوب. ولكن يأتي بعض الشعراء ببعض القصائد أنظر فيها أحذف وأزيد ما يستحق الحذف. وبعض الشعراء أنا أستحيي أن أقول له: (تعال أنظر القصيدة)، لأنه ربما يكون شعيراً قديماً يعني شعيراً له منافحة وما إلى ذلك، قد تكون له زلقة والخطأ ولا تكسب كل نفس إلى عليها. وعلينا النصح وعلينا البعد عن إطراء. نحن نؤمن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»^(٣).

فإذا كان هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»^(٤). صاحب اللواء المحمود، والحوض المورود. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً يقول: يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، قال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم الأول ولا يستجربنكم الشيطان. إنما أنا عبد فقولوا عبد الله

^(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه.

^(٤) أخرجه ابن حبان (٦٢٤٢) وغيره عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، بسند صحيح.

ورسوله^(٥). وأمثال ذلك كثيرة: «فمثل هذا فارموه، وإياكم والغلو»^(٦). قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]

وهكذا الغلو في الصالحين: من أوسع أودية الأباطيل الغلو في الأفاضل، كما هو معروف من كلام المعلمي رحمه الله^(٧). هذا ديننا واعتقادنا: بغض الغلو وبغض الإطراء وبغض المخالفات وبغض الكلمات الشاردة عن الحق وأنا ننصح أنفسنا بملازمة الحق قولاً وفعلاً. ونعتب على من يقول: الشعر أعذبه أكذبه. هذا ما هو الصحيح. بل أعذبه أصوبه. ويجب أن يتحرى الحق فيه والعدل والإنصاف فيه. فليتحر الحق في الشعر والنثر. الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح. والله عز وجل يقول: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

فأنا أبغض الغلو فيّ، ولست أهلاً لأن يغلى فيّ. والله ما أرضى بذلك وأبغض الغلو في الصالحين وأبغض الغلو حيث كان. وهذا من عقيدة أهل السنة والدعوة فيهم. وكم لنا والله الحمد في أشرطة في التحذير من الغلو وأهله والباطل وأهله. كل ذلك ديننا واعتقادنا، تديننا والله. فلا أقرّ المبالغة. لست إمام الثقلين، وأنا أدرس إخواني، وأقوم بمجهود أسأل الله أن يكتب الأجر والثوبة وأن يغفر الزلل والخطأ، وتلك المقولة أنكرناها وننكرها على غيره ممن زل. وإخواننا الذين يرون أنني أراجع بعض القصائد يرون كم أحذف من بعض الكلمات حتى والله مما في بعضها أقول: اتركها، ما فيها غلو ومع ذلك احذفها تحبباً: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. لا يحتاج إلى ذلك. وما إلى ذلك. والشعراء، الشعر له نزوة كما يقولون. ... في بعض الكلمات.

ثم إن هؤلاء الذين قالوا هؤلاء الكلمات قد تراجع عنها وهم أهل السنة، وتراجعوا عنها وتركوها، وأنا ما أنا إمام الثقلين. أنا مدرس طلابي واستخلفني الشيخ رحمه الله على هذه الدار نسأل الله البركة. وكل يشرحه عمله في الدنيا والآخرة. كل سيقدم على ما قدم. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]

والحمد لله البركة حاصلية ولست بحاجة إلى إطراء والله الحمد. البركة حاصلية في التعليم، والبركة حاصلية في الدعوة، والبركة حاصلية في السنة، والبركة حاصلية في الدفاع عن الخير، ودرء الشر عنا والبركة حاصلية في وجوه كثيرة، ولكن ما أدري ما مقاصدهم بهذا أننا نقر هذا في أنفسنا عياذاً بالله. وبعض الكلمة قد تقرأ وأنا أكون مشغولاً

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) وغيره عن مطرف عن أبيه رضي الله عنه، بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، بسند صحيح.

(٧) كما في "التنكيل" (١/ ص ٨٠).

بأوراق ومشغولا بالمستأذنين مشغولا بالأشياء، والله بعضهم لا أنتبه له، كَمَل القصيدة وراح. ونبهت عليها أو نُبهت عليها نبهت عليها.

انتهى النقل.

ولا تظنوا أن الشيخ يحيى يسكت عن المنكر إذا علمه، أو يتحلى بالمدح، أو يتقوى بالغلو فيه. كلا. ليس كما افتراه الدجال عرفات البصري الذي يصور أن الشيخ يحيى يؤيد ذلك الشعر الغالي ليرفع شأنه.

الفصل الثاني: موقف الطلاب

ثم اعلّم أنه لما أخطأ بعض الشعراء كثيرٌ من الطلبة لا يشعرون بوجود تلك المقولة (إمام الثقلين) لما أنشدها الشاعر، لأننا ليس كل كلمة خرجت منه -من خلال طول الأبيات- دققنا السمع لها، فأحيانا -في خلال قراءة الشاعر شعره- نحن نهتم بالكتاب الذي سيدرسناه شيخنا حفظه الله، وأحيانا نبه بعض الأولاد اللاعبين في المجلس، وأحيانا نتحدث مع جارنا في أمر أهمنا في تلك اللحظات، مع لزوم الهدوء والسكينة في المجلس، ثم نرجع إلى سماع الشعر.

فلما علمنا -بعد مدة- بحصول ذلك الخطأ لم نسكت عنه بل نسعى في إصلاحها مع لزوم الأدب الشرعية. أنا وأخ فاضل مشينا إلى الشيخ عبد الحميد الحجوري وكلمناه في الموضوع، ثم يسّر الله إصلاح الخطأ بدون أي تمهيل. هذا الذي فعلنا وفعله غيرنا من الطلاب. والشيخ يحيى والشيخ عبد الحميد حفظهما الله كغيرهما في تلك القضية لا يتبعان ألفاظ ذلك الشعر -وما أكثر هذه الأشعار- وإنما يريانه جيدا في الجملة فيقرّانه ولم يشعرا بوجود تلك الزلات. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

فليس الأمر كما تزعمون -أيها الحساد- أننا نسكت عن المنكر ونقلد ونحابي رجلا مخطئا. فمن علامات المحبة الصادقة: نصره المحق بحقه، ونصلحه عن خطئه لله تعالى.

لا شك أننا اعترفنا إلى الله بضعفنا وعجزنا وتقصيرنا، ولكننا نعتقد حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا شهدوه أو علمه». قال أبو سعيد: فحملني على ذلك أني ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت. (أخرجه أحمد (١١٧٩٣) بسند صحيح). ومع ذلك إن شاء الله لسنا بأعجز منكم -إن شاء الله- عند حصول منكر علمناه على إنكاره وإصلاحه، مع ملازمة الآداب الشرعية، بدون أن نخبركم بما فعلنا من السعي في إصلاح الخطأ.

ومشى عامة طلاب الشيخ يحيى وأصحابه وأصدقائه على احترامه بدون غلو فيه. فمن نسب شيخنا ومن معه إلى الغلو في الرؤساء فقد ظلمهم وشتهمهم.

وقد تاب من نظم شعرا فيه غلو فيه، وكتب إعلان توبته ونشره، مع أنه لم يكن يقصد المعنى الذي قالوه، ومع ذلك الحق أحق أن يتبع. أما قول: (لو ذوبوا لحمه لصار سنة) قال الشاعر أبو مسلم الحجوري حفظه الله :

أبو مسلم أحمد بن محمد بن الحسين الزعكري الحجوري
دار الحديث بدماج ٢ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ

الفصل الرابع: تعيير التائب حرام

(١) قال شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله لما عرضت عليه هذه الورقة : هذا كلام طيب و قد قلت في ذلك اليوم أني ما أحب المبالغة في المدح ، والله المستعان.

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام: لأن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس. ("مجموع الفتاوى" / ٨ / ص ١٧٨-١٧٩).

وأذكركم بالله ألا تتساهلوا بمخالفة النص أو الإجماع. وقال شيخ الإسلام رحمه الله: والتحقيق: أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه - إلى قوله: - وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره. ("مجموع الفتاوى" / ١٩ / ص ٢٧٠).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباؤه بعده وهداه فإن هذا لا يجوز لأحد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن. ("شفاء العليل" / ص ١٤).

فكيف تعيرون التائب بما قد تاب منه؟ هذا يعتبر شتمًا، والشتم بالمسلم حرام كما هو معروف. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ففي التعبير ضرب خفي من الشتم بالمعير. ("مدارج السالكين" / ١ / ص ١٧٧).

أليس الأولى بكم أن تشكروا الله ألا يبتليكم بذلك الذنب، فإذا تاب أخوكم منه فرحتم بتوبته؟ فمن يضمن أنكم إذا ابتليتم بذلك وفقتم على التوبة كما وفق أخوكم لقبول النصيحة فخضع لله وتاب إليه؟ وأما تعييركم أخاكم التائب بذنبه الذي ابتلي به وقد تاب منه ففعل ذلك دليل على العجب في أنفسكم، فاحذروه. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأن أخاك باء به ولعل كسرتة بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء على نفسه والتخلص من مرض الدعوى والكبر والعجب ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس خاشع الطرف منكسر القلب أنفع له وخير من صولة طاعتك وتكثرك بها والاعتداد بها والمنة على الله وخلقه بها. فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله. فذنب تدل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه. وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل. ("مدارج السالكين" / ١ / ص ١٧٧).

الخلاصة: التائب من ذنبه لا يجوز تعييره وجرحه به. وقد عرفتم أنه إذا عيّن الجراح سببا فنفاه المعدل بطريق معتبر، قُدّم التعديل على الجرح. وكذلك إذا عيّن الجراح سببا فقال المعدل: (تاب عنه، حسنت توبته) فيقدم التعديل لأن معه هنا زيادة علم. قال الإمام ابن أمير حاج رحمه الله: نعم رجحان التعديل في الصورتين متجه كما هو غير خاف إن شاء الله تعالى والله سبحانه أعلم. ("التقرير والتحجير" / ٤ / ص ١٥٦).

الفصل الخامس: كشف شبهة حول الاحتجاج بقصة آدم عليه السلام

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاءه فقال: ... فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه فكرهتم أن يعفو عنه. وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون. (أخرجه البخاري (٤٦٥٠)).

فنحن نقول في هؤلاء المرعيين: أما الشعراء فقد تابوا ووعد الله التائب بقبول توبته، فكرهتم أن يعفو عنهم. إذا قال قائل: هذا نبي الله آدم عليه السلام قد نص الله تعالى على توبته، فلا يجوز تعييره بعد ذلك، وكذلك عثمان رضي الله. وأما غيره من البشر ليس لدينا نص على قبول توبته!

الجواب: لو فتحنا هذا الباب لما وجدنا إنساناً مظهراً توبته إلا واتهمناه بذنبه واستمررنا على ذلك إلى يوم القيامة لأن الوحي قد انقطع. فالذنب -على هذا المذهب- لم يزل منسوباً إلى التائب، ولم يسلم أحد من ذلك، حتى أنتم أيها الطاعنون.

ولعل بعضكم كان شيعياً، أو صوفياً، أو خارجياً، أو خماراً، أو غير ذلك من أهل المعاصي، ثم من الله عليه بالتوبة وهداه إلى السنة والسلفية، فهل يسمح أحدكم أن يناديه شخص فقال: (يا شيعي) أو (يا خارجي) أو (يا صوفي)؟ كلا. فلمَ عيرتم هؤلاء الشعراء التائبين طيلة السنوات؟ إن لم ترضوا بذلك في أنفسكم فلا ترضوا بذلك في إخوانكم. عن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)).

فالواجب علينا الحكم على الظاهر، فما دام التائب أظهر توبته ووفى شروط التوبة نحكم على ظاهره التائب، وعظمنا الرجاء أن الله يقبل توبته لأنه لن يخلف وعده. قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

والأدلة على هذا كثيرة معروفة.

من أجل ذلك كما أن توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم مقبولة بالنص، فتوبة من بعدهم مقبولة بما ظهر من أمارات الصدق. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: لكن في الاستدلال لذلك بقصة كعب نظر فإنه ندم على ما صدر منه وتاب ولكن آخر الكلام معه حتى قبل الله توبته وقضيته أن لا يكلم حتى تقبل توبته. ويمكن الجواب: بأن الاطلاع على القبول في قصة كعب كان ممكناً، وأما بعده فيكفي ظهور علامة الندم والإقلاع وأمارة صدق ذلك. ("فتح الباري" / ابن حجر / ١١ / ص ٤١).

فتعير من ظهرت علامات صدق توبته جريمة. ولكن شأن لقمان، وعبد الله البخاري، وعرفات وأسلافهم شأن بعض أهل الأهواء الذين لا يعتبرون بتوبة السني المخطئ بل يواصلون الهجوم والتعير عليه بذلك الخطأ.

ثم إنا نعلم أنكم يستهدفون الشيخ يحيى حفظه الله، وليس قضية الشعراء إلا سلباً ووسيلة لكم لضربه حفظه الله. قد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي هداه الله قال للشيخ يحيى حفظه الله: الدعوة السلفية مقصودة، وأنت مقصود. ("ماذا ينقمون من يحيى؟" / ص ٥ / للشيخ عدنان المصقري حفظه الله).

وقد أخبرنا شيخنا يحيى حفظه الله أن الشيخ ربيع حفظه الله قال له: إن الناس سيثبون عليك. فالشيخ يحيى حفظه الله قد تبرأ من تلك الأخطاء الشعرية، فلماذا أصررت على إلصاقها عليه؟ قال البرمكي: (لا يقول قائل أن الشاعر تاب. هذا ما يكفي).

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: ما أنتم إلا الحزبيون كما قاله الشيخ ربيع نفسه: ولكن الحدادية لهم أصل خبيث، وهو أنهم إذا ألصقوا بإنسان قولاً هو برئ منه ويعلم براءته منه، فإنهم يصرون على الاستمرار على رمي ذلك المظلوم بما ألصقوه به، فهم بهذا الأصل الخبيث يفوقون الخوارج. ("موسوعة مؤلفات ورسائل الشيخ ربيع" / ٩ / ص ٧٦٤ / دار الإمام أحمد).

الباب السادس: غلو أصحاب الشيخ ربيع المدخلي فيه

على مذهبنا الموافق للكتاب والسنة والإجماع: أن التائب من الذنب -ومنه الغلو- قبلت التوبته، وبرئ من ذلك الذنب ولا يجوز تعييره ولا يجوز نسبته إليه. وأما على مذهبكم المبتدع الفاجر: أن التائب من الغلو -وغيره من الذنوب- لا تقبل توبته، ولم يبرأ من ذلك الذنب، ويجوز تعييره ونسبته إليه.

فأسألكم الآن: لماذا تغلون في الشيخ ربيع؟ أو لماذا تسكتون عن غلو بعضكم فيه؟ سأضرب لكم بعض أمثلة أخذتها مما ذكرها الأخ الفاضل خالد الغرباني وإخوانه أعضاء الشبكات العلوم السلفية حفظهم الله وجزاهم خيراً، في راسة: "نماذج من غلو طلاب الشيخ ربيع في الشيخ ربيع":

المثال الأول: ما قاله أحمد بازمول في مقال له سماه: "هل يسأل عن مثل الشيخ ربيع المدخلي": ويحق لنا نحن السلفيين أن نقول في شيخنا ربيع السنة حامل راية الجرح والتعديل في هذا العصر أنك قد جاوزت القنطرة ولا يُسأل عن مثلك نقولها بحق؛ وبصدق وبعدل اهـ.

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: ما المراد بهذه العبارة: (جاوز القنطرة)؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في "الصحيح": هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه. ("فتح الباري" / ١ / ص ٣٨٤).

ولكن من من الأئمة أعطى الشيخ ربيع حفظه الله هذه التزكية العظيمة؟ وهل معناه أنه لا يخطئ ولا يجوز نقد خطئه؟ لا يصح هذا، فكل مأخوذ من قوله ومردود إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقول كما قاله الشيخ ربيع نفسه: فالنقد -يا إخوان- لا يجوز سد هذا الباب، لأننا نقول بسد باب الاجتهاد -بارك الله فيكم-. ولا نعطي قداسة لأفكار أحد أبداً كائن من كان. فالخطأ يُرد من أي شخص كان، سلفياً (كان) أو غير سلفي. -إلى قوله:- فالنقد من باب إنكار المنكر، فنقد الأشخاص السلفيين الكبار إذا أخطأوا وبيان خطأهم هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب البيان الذي أوجبه الله، ومن باب النصيحة التي أوجبه الله وحثّمها علينا اهـ. ("أجوبة الشيخ ربيع عن أسئلة أبي رواحة" / ص ١٦-١٩ / مجالس الهدى).

قد نقلته بأكثر من هذا في كتاب "صفات الحدادية".

فالشخص مهما عظم قدره وجاوز القنطرة إذا أخطأ وعندنا بينة على ذلك لا نقره على خطئه، ولا سيما إذا أصر على باطله ولم يرجع. قال ابن حجر رحمه الله: قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد

الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما قلت فلا يقبل الطعن في أحد منهم إلا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة. ("فتح الباري" / ١ / ص ٣٨٤).

وأما إطلاق القول بأنه لا يلتفت إلى الكلام فيه، فليس بصواب. قال الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله: الحق أن هذا القول غير مقبول على الإطلاق بل الكلام في الرجل من رجال الصحيح تارة لا يكون مؤثراً فيه ككلام النسائي في أحمد بن صالح المصري، وتارة يكون مؤثراً كيحيى بن أيوب المصري، ونعيم بن حماد، وسويد بن سعيد، وغيرهم فإذا انفرد واحد منهم واشتهر الكلام فيه أو ضعفه أكثر الأئمة بحديث في الحلال والحرام لم يحتج به وأصحاب الصحيح إذا رووا لمن تكلم فيه وضعف فإنهم يثبتون من حديثه ما لم ينفرد به بل وافق فيه الثقات وقامت شواهد صدقه. (كما في "النكت على مقدمة ابن الصلاح" / للزركشي / ٣ / ص ٣٤٩-٣٥١).

وقال الإمام محمد ابن الأمير الصنعاني رحمه الله: فقول الشيخ أبي الحسن المقدسي في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة حتى لا يلتفت إلى ما قيل فيه كأنه يريد كثير منهم جازها وإلا فكيف يجوزها النواصب وغلاة الشيعة وأهل الإرجاء والمبتدعة ممن هم في الصحيح. ("ثمرات النظر" / لمحمد الصنعاني / ص ١١٧).

وقد وقع الشيخ ربيع -ونحن في غاية الأسف منه- في زلة كبيرة بتحريشه طلاب دماج على شيخهم يحيى الحجوري حفظه الله منذ أكثر من سبع سنوات، ومناصرته حزب العدني في الباطل بغير قدرة على مقارعة الحجة بالحجة. فالنقد في أخطاء الشيخ ربيع بالبراهين، ودفاعنا عن أنفسنا حملات الشيخ ربيع بالبيانات لا بد من اعتبارها وعدم إهدارها.

فإطلاق هذه العبارة للشيخ ربيع حفظه الله يعتبر غلوا فيه، ولا سيما أن الإنسان غير معصوم سوى الأنبياء، بل روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». قال: فقلنا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: فقال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها». (أخرجه الإمام أحمد (١٢١٢٨) / صحيح).

الرسول صلى الله عليه وسلم مع عصمته يدعو بهذا الدعاء، فكيف غيره يأمن على نفسه تقلب القلب بعد رشه؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يخاف على أصحابه مع عظيم منقبتهم وإيمانهم وعملهم، فكيف يطري أحمد بازمول في الشيخ ربيع حفظه الله بما يشعر الأيمن من الخطأ والزلل؟

نعم، بعض الأئمة يقولون في رواية "الصحيحين" بأنهم جاوزوا القنطرة، وهم قد ماتوا -رحمهم الله- وعلم حالتهم الأخيرة ظاهرة أو غلبة الظن، ومع ذلك انتقد بعض الأئمة هذا الإطلاق. فكيف يقال في الشيخ ربيع ذلك ولم تعرف آخر حالته، والحلي لا تأمن عليه الفتنة، والأعمال بالخواتيم؟ ومع ذلك نسأل الله لنا وله ولسائر علمائنا حسن الخاتمة، والنجاة من جلساء السوء، وهم لا يزيدون إلا خبالاً.

المثال الثاني: ما نقله الأخ الفاضل أبو عبد الله أحمد بن علي العواضي: قد قيلت بعض الآيات في الشيخ ربيع -وفقه الله-، من ذلك قول القائل: (جعلتم فداءً أجمعين لنعله..... فإنكم منها أذل وأحقر).

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: هل يجوز يقال مثل هذا؟ فيه غلو عظيم في شخصية الشيخ ربيع، وهل الناس أجمعون فداء لنعل الشيخ ربيع ولأنهم أذل وأحقر منها؟ حتى عصاة المسلمين أكرم عند الله من البيت العتيق. قال نافع رحمه الله: ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. (أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح" (٣٦٠١)).

المثال الثالث: ونقل الأخ الفاضل أبو عبد الله أحمد بن علي العواضي حفظه الله قولاً آخر: (ربيع ليس يشبهه ربيع وتعجز إن أردت له مثيلاً). هذه الأبيات ذكرها (الجابري والسحيمي والصاعدي) في نصيحتهم الموجهة إلى الشيخ ربيع يدعونه إلى أن يتبرأ من إطراء أصحاب هذه الأبيات. قيل إنه تراجع قائلها.

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: فيه غلو عظيم جداً. فهل قبل الشيخ ربيع تراجعاً ثم يسكت عنه بدون توبيخه، ولا يقبل قول الشاعر المتراجع بقوله (إمام الثقلين)، بل يلزم الشيخ يحيى حفظه الله بتوبيخه، ثم لم يزل يخوض حول هذه القضية في مر السنين. ما لكم كيف تحكمون؟!

المثال الرابع: نقل الأخ الفاضل خالد بن محمد الغرباني الهاشمي حفظه الله قول سامي عويد أحمد المدرس في قسم علوم القرآن - كلية التربية - جامعة تكريت الاختلاطية في مقال له منشور في "سحاب" بعنوان: "المطالب العالية في تزكية الإمام ربيع للشيخ عبداللطيف الكردي وصد عدوان البغاة" (الحلقة الأولى): كل ذلك حدى بأئمة، وعلماء الدعوة السلفية إلى أن يشهدوا للشيخ ربيع بالإمامة، والتقدم على غيره في باب الجرح والتعديل، والتميز بين الأصل والدخيل، فهو الركن المنيع الذي لا يصدع، والحصن المتين الذي لا يردع.

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الغلو العظيم: (فهو الركن المنيع الذي لا يصدع، والحصن المتين الذي لا يردع). وقد قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى خبراً عن نبيه لوط، عليه السلام: إن لوطاً توعدهم بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل من العذاب والنقمة وإحلال البأس بكم بنفسي وعشيرتي. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٣٣٨).

وقال ابن حجر رحمه الله: قوله ﴿إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي عشيرة. وكذا قوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي: بمن معه. وأصل الركن الناحية من الجبل ويوضع موضع القوة. ("فتح الباري" / ١ / ص ١٢٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُّوطِ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ». (أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ومسلم (١٥١)).

قال النووي رحمه الله: وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» فالمراد بالركن الشديد هو الله سبحانه وتعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها. ومعنى الحديث والله أعلم: أن لوطاً صلى الله عليه وسلم لما خاف على أضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم، فغلب ذلك عليه فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم.

وقصد لو ط صلى الله عليه وسلم إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه صلى الله عليه وسلم عن الاعتماد على الله تعالى. وإنما كان لما ذكرناه من تطيب قلوب الأضياف، ويجوز أن يكون نسي الالتجاء إلى الله تعالى في حمايتهم، ويجوز أن يكون التجأ فيما بينه وبين الله تعالى وأظهر للأضياف التألم وضيق الصدر والله أعلم. ("شرح النووي على مسلم" ٢/ ص ١٨٤-١٨٥).

فالله عندنا هو ركننا الشديد، وعند سامي عويد: الشيخ ربيع هو الركن المتين الذي لا يصدع، والحصن المتين الذي لا يردع. نعوذ بالله من الغلو.

ولم نقل إن من أسماء الله: الركن الشديد، ولكننا لا نتوكل ولا نعتمد إلا على الله، ولا نحتمي ولا يستعبد إلا به. وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنی وصفاته العليا. ("بدائع الفوائد" ١/ ص ٢٨٤/ ما يجري صفة أو خبراً/ دار عالم الكتب).

المثال الخامس: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول شاعرهم: (أهلاً وسهلاً بالإمام المحتمي بحمائه من صولة الأوغاد).

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الغلو العظيم. وأما نحن أهل التوحيد، نحن نتوكل على الله ونعوذ به من صولة أهل الباطل، فلا نعوذ بالشيخ ربيع ولا غيره من المخلوقين. قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، وقال جل ذكره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ [الحج: ٧٨] والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والخوف. فالعصمة: الحمية. والاعتصام: الاحتماء. ومنه سميت القلاع: العواصم لمنعها وحمايتها ومدار السعادة الدنيوية والأخروية: على الاعتصام بالله والاعتصام بحبله ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين. فأما الاعتصام بحبله: فإنه يعصم من الضلالة. والاعتصام به: يعصم من الهلكة. ("مدارج السالكين" ١/ ص ٤٦٠).

فحسبنا الله ونعم الوكيل، لا نحتمي على غيره الذي ليس بيده النفع ولا الضرر، ولا يملك استقامة نفسه، ولا يأمن من تقلبات قلبه. وإذا قلتم: (إنما نريد كذا وكذا)، فالجواب: كما أنكم لا تقبلون تأويلات شعرائنا هؤلاء ولا اعتذاراتهم، فلم نقبلها منكم. وشعرنا وُفقوا للتواضع وقبول النصيحة وتسارعوا في التوبة، والتقيد بالألفاظ الشرعية، بخلاف الحزبيين المتكبرين المعاندين مثلكم. والحمد لله وحده.

المثال السادس: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول آخر يقارن بين الشيخ ربيع وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين طارق بن زياد: ويقول - من عجب - : (أهذا خالد في بأسه أم طارق بن زياد؟!).

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: وقد ضحك بعضكم لما سمعوا أحد الشعراء -وفقههم الله- يقارن بين الشيخ يحيى وبين بعض الصحابة والأئمة، وتجعلون ذلك الصنيع غلوا. وقد نصحهم الشيخ يحيى بترك مثل هذه الكلمات. فهل نصح الشيخ ربيع الشعراء المطرئين فيه؟ وهل وبخهم كما يلزم الشيخ يحيى بتوبيخ الشعراء المطرئين فيه؟ الحمد لله، شعراء أهل السنة وفقوا للتواضع وقبول النصيحة ولو بدون توبيخ. وأما الطرف الآخر فإني خشيت أن يكون فيهم تكبر على الحق، وتعتمد الإثم والتماذي في الباطل، ولم يتورع للأكاذيب والجور. ينطبق على بعض من كان هذا شأنه قول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٦].

وأما شعراء أهل السنة فإنهم يتحرون الحق، ويدافعون عن المحقين، وإذا زلت أقدامهم -لعدم عصمتهم- ثم نبهوا تابوا ولم يصروا على الباطل، فينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

المثال السابع: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قولهم: (تألق فالناس دون الربيع * كجيد تعطل منه الحلي).

قلت -أبو فيروز عفا الله عنه-: هذا أيضا من الغلو. فلا يزال الله يقيض لهذا الدين طائفة من علماء السنة يجدد للأمة دينهم وينفون عنه شوائب أهل الباطل، وكلما مات عالم خلفه عالم آخر مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

من كان يعبد محمدا فإنه قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه. توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه باق، الله حافظ دينه. فكيف إذا مات الشيخ ربيع؟ حزنا، ولكن دين الله باق، والناس ثابتون بتثبيت الله ثم بتمسكهم بالكتاب والسنة على منهج السلف، ليسوا كما قال الغلاة: (تألق فالناس دون الربيع * كجيد تعطل منه الحلي).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن هذه الأمة أكمل الأمم وخير أمة أخرجت للناس ونبينا خاتم النبيين لا نبي بعده فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خلقه عالم لثلا تظمس معالم الدين وتحفى أعلامه. ("مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ١٤٣).

لا شك أن موت عالم من العلماء مصيبة، ولكن ليس كما يصوره الغلاة المقلدون، فالله حافظ دينه. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ... وهذا لأن الله سبحانه ضمن حفظ حججه وبياناته وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

لا تزال طائفة من أمته على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة، فلا يزال غرس الله الذين غرسهم في دينه يغرسون العلم في قلوب مَنْ أهلهم الله لذلك، وارتضاهم، فيكونوا ورثة لهم كما كانوا هم ورثة لمن قبلهم فلا تنقطع حجج الله والقائم بها من الأرض وفي الأثر المشهور: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم بطاعته» وكان من دعاء بعض من تقدم: (اللهم اجعلني من غرسك الذين تستعملهم بطاعتك). ولهذا ما أقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه إليه إلا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة إما في قلوب أمثاله وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده.

(انتهى من "مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ١٤٧-١٤٨).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: إن هذه الأمة والله الحمد لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده وهم لما هداهم الله به يتوافقون في قبول الحق ورد الباطل رأيا ورواية من غير تشاعر ولا تواطؤ اهـ ("مجموع الفتاوى" / ٩ / ص ٢٣٣ / مكتبة ابن تيمية).

هذا البيان كاف في تنبيه المغالين للشيخ ربيع حفظه الله.

المثال الثامن: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول الشاعر في الشيخ ربيع:

(مَرَضَ الشَّبَابُ بِحَبِّ خَبٍّ مَآكِرٍ * كَيْفَ الشِّفَاءُ وَمَنْ سِوَاكَ مَدَاوِي)

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: الشافي الله، والطبيب الله، وهو الذي أنزل الداء والدواء. قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه: «أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما». (أخرجه البخاري (٥٧٥٠) ومسلم (٢١٩١)).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شرح الحديث: ففي هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي وأنه لا شفاء إلا شفاؤه فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته. ("زاد المعاد" / ٤ / ص ١٧٢).

ونحن لا نتكلم على مجرد أسماء الله بل المعاني التي تتضمنها هذه الكلمة. فقولوا لي يا لقمان، وعبد الله البخاري وعرفات: هل الشيخ ربيع هو المداوي حتى يأتي الشاعر بسؤال إنكار على وجود الشفاء من عند غيره؟ أم الله سبحانه وتعالى هو الشافي؟ فكيف يأتي الشاعر بحصر المداوي على الشيخ ربيع وحده؟

المثال التاسع: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول الشاعر في الشيخ ربيع:

(أَنْتَ الطَّبِيبُ وَلَا خَيْرَ سِوَاكَ * يَدْرِي بِأَمْرَاضِ الْهُوَى وَيَدَاوِي)

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: نفس الكلام، إن الله هو الطبيب، عن أبي رمثة رضي الله عنه: أن أباه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أرني هذا الذي بظهورك فإني رجل طبيب قال: «الله الطبيب بل أنت رجل رفيق طبيها الذي خلقها». (أخرجه أبو داود (٤٢٠٧) / صحيح).

وكيف ينفي الخبرة بأمراض الهوى والمداواة عن غير الشيخ ربيع؟ بل هذا غلو فوق ما تصورنا في المنتسبين إلى العلم والسنة أمثالكم. وقد عيرتم التائبين بذنب فوقعتهم فيما هو أقبح وهو الشرك بالله العظيم. ثم إنا قد بينا شدة مكر المرعيين وقبح خبثهم فهم من أحق الناس بقولكم: (مَرَضَ الشَّبَابُ بِحَبِّ خَبِّ مَآكِرٍ)، ولم نجد الشيخ ربيع قادرا على مداواتهم، بل تأثر هو بهم.

المثال العاشر: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله غلوا آخر منهم فيه: (علا نجم الربيع على الثريا * فجاوزها وقد رَضِيَتْ سُفُولًا).

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: قد غضب الشيخ ربيع على الشيخ يحيى ومن معه حفظهم الله من أجل كلام وصل إليه -كما زعم-: (عبيد عبيد يحيى يحيى، يحيى في السماء، وعبيد مبتدع).

فكيف الآن: (علا نجم الربيع على الثريا * فجاوزها وقد رَضِيَتْ سُفُولًا)؟ هل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام ويعتقد أنه أرفع من غيره؟ عن عياض بن حمار أخي بني مجاشع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما قال: «وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». (أخرجه مسلم (٢٨٦٥)).

فهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم أن الهوى يعمي ويصم؟

ثم اعلم أن إرادة العلو في الأرض أمر خطير. عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق. قال حميد: أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه». (أخرجه البخاري (٢٨٧٢)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فإن فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع، والحث على التواضع والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة. قال بن بطال: فيه هوان الدنيا على الله، والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو في محل الضعة، فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه، ويقل منافسته في طلبه. ("فتح الباري" / ١١ / ص ٣٤١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: تأمل قوله في اللفظ الأول أن لا يرتفع شيء وفي اللفظ الثاني أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه فجعل الوضع لما رفع وارتفع لا لما رفعه سبحانه فإنه سبحانه إذا رفع عبده بطاعته وأعزه بها لا يضعه أبدا. ("الفروسية" / ص ٩١).

فمن ترفع في أرض الله وضعه الله -من باب معاملة فاعل الباطل بنقيض قصده-، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأصل هذا: أن الله سبحانه جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم -ثم ذكر بعض الأمثلة، ثم قال:- وجعل عقوبة من تكبر عن قبول الحق والانقياد له: أن ألزمه من الذل والصغار بحسب ما تكبر عنه من الحق. ("إغاثة اللهفان" / ١ / ص ٣٥٨-٣٥٩).

ومن تواضع لله رفعه الله. ومن بغى على أخيه خذله الله، نصر الله المبغى عليه. وخشنا على من حصل في نفسه إعجاب، وتكبر، فبغى على العباد، وجبرهم على الخضوع أمام عظيم نعليه، وسعى بطريقة مأكرة -إظهار الثناء مع إبطان المكائد- في إسقاط من يأبنه منافسا له في منقبته، خشنا عليه أن تناله هزيمة بعد هزيمة، وذلة بعد ذلة يجعل الله ذلك نكالا وموعظة للمتقين. وكفى بقضية هشام بن الغاز رحمه الله عبرة لأولي الألباب، وقد سعى الباغي في تضعيف رواية كبير أتباع التابعين هشام بن الغاز بغير حق، وبذل جهده في ليّ القواعد الحديثية من أجل قهر أهل الحق ومناصرة حزب العدني، فسلك طريقة حمزة المليباري فانقلبت عليه الحال، وضعفت حجته، وظهر عجزه أمام صولة الصدق والحق، فباء منهزما، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن الله لا ينصر إلا الحق. ("إعلام الموقعين"/ فصل: عاقبة الإخلاص لله / ٢ / ص ١٧٨).

ومن تلك الجريمة أنهم صوّروا السلفيين الذين ينصرون الحق مع الشيخ يحيى حفظه الله يعادون أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد افترض أن ذلك التصوير الجائر ارتكبه من أجل مناصرة حزب العدني ضد أهل الحق، فنصر الله أهل الحق وخذل أهل الجريمة مهما عظمت منقبتهم في النفوس، فباءوا بالفشل مقهورين بين يدي حجج أهل الحق والصدق.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: والحق منصور، والباطل مخذول، والله الحمد. ("أدب الطلب"/ ص ١٤٢ / دار الكتب العلمية).

وقد عرفتم أدلة النهي عن إعجاب النفس. وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: ... فإن الإعجاب ضد الصواب، ومنه تقع العصية وهو رأس كل بلية. ("الفقيه والمتفقه"/ للخطيب البغدادي / ٢ / ص ٢٥٤).

المثال الحادي عشر: نقل الأخوان أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي وأبو عبد الله هشام بن حسين البير حفظهما الله أن من غلوهم أنهم يرون فقط الشيخ ربيع، وأنه يسير وحده: (يسير لدحر العدا مفرداً * وإن رافقوه ففي الأول)

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: هذا هضم لمجهود العلماء الآخرين. أين عشرات من الأئمة والعلماء في هذا العصر حتى ينفيهم الشاعر فجعل الشيخ ربيع هو السائر مفردا في هذا الجهاد العظيم؟ هل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام ويعتقد أنه وحده في هذا الخط؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم طبقتم قاعدة الحسن البنا: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه)؟

المثال الثاني عشر: نُقل بواسطة الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول الشاعر عن الشيخ ربيع:

(يحارب أرباب الضلالة واحداً.... ولكن له من ربه خير موئل).

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: نفس الكلام، أين الأئمة ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، وأحمد النجمي، ومقبل الوادعي، وصالح الفوزان، وغيرهم؟ نحن نحترم الشيخ ربيعاً، ونعترف بحسن بلائه في السنة، ولكن بدون غلو. وهل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام ويعتقد أنه وحده في هذا الخط؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم أن الهوى يعمي ويصم؟

المثال الثالث عشر: نقل بواسطة الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قولاً آخر فيه: (حبرُ التُّقى زينُ الورى شمسُ الضُّحى * بدرُ الدُّجى نجمُ الهدى الوقاد).

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الغلو البالغ. عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك» مراراً، ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه». (أخرجه البخاري (٢٦٦٢) ومسلم (٣٠٠٠)).

وهل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ أما شعراؤنا -والله الحمد- وفقوا للتواضع والانقياد للتنبية بدون توبيخ. وأما شعراؤكم: فكم من كلمة يطرون بها الشيخ ربيعاً؟ فأين توبيخه إياهم؟ أليسوا هذه الكلمات الغالية الهائلة مستحقين لما هو أعظم من التوبيخ، وهو: حث التراب على وجوههم امتثالاً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كان صادقاً في كونه -عندهم- إمام أهل السنة الذي يعجز الناس عن طلب مثيله وأن جميعهم أحقر من نعله؟

وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم أن الهوى يعمي ويصم؟

المثال الرابع عشر: ونقل الأخ الفاضل خالد باجمال حفظه الله: وصف بعض كتبة (شبكة الوحليين) للشيخ ربيع بأنه ناصحنا الأميناً، حيث قال قائلهم شعراً:

(ربيعُ أنتَ للدينِا ربيعٌ *** وأنتَ اليومَ ناصحنا الأمينا
فقد أهداكم نصحاً سديداً *** وتوجيهاً أسراً العالمينا)

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: أتذكرون ما قاله الشيخ ربيع ليلة الأربعاء الأول من شهر جمادى الأولى عام ١٤٣٤ هـ في هجومه على الشيخ يحيى: (... كل ما نسمع: "إمام الثقلين .. الناصح الأمين". يا أخي! الناصح الأمين هم الأنبياء، أليسوا هم؟!).

الآن ما هذا يا شيخ؟ (وأنت اليوم ناصحنا الأميناً). قلت كما قلت أنت: (الناصر الأمين هم الأنبياء، أليسوا هم؟!) وهل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين الآن نصحه وأمانته تجاه هذا الغلو الجسيم إن كان نصيحاً أميناً؟ إن لصاحب الحق مقالا، وقد ظلمتمونا فاسمعوا شدة مقولتنا الآن ولا تلومن إلا أنفسكم. وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم أن الهوى يطغىكم للجور؟

المثال الخامس عشر: نقل الأخ الفاضل أبو عبد الله هشام بن حسين البير حفظه الله عنهم: (تحمل ما لا يطيق الرجال = إلى ذروة المجد كم يعتلي).

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الإطراء الكاذب. وهل يرضى الشيخ ربيع بهذا؟ وهل يعتقد الشيخ أن تحمله لا يطيقه الرجال ويعلى علوا كبيرا إلى ذروة المجد؟ سبحان الله. نحن نحب الشيخ ربيع ونجمله ونحترمه، ولكن في حدود الشرع.

المثال السادس عشر: نقل الأخ الفاضل أبو عبد الله هشام بن حسين البير حفظه الله قول قائلهم شعراً: (فذاك طبيب الدعاة الغواة * وذاك ربيع الهدى المدخلي).

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: الطبيب الله، وهو الذي يهدي من يشاء من عباده. قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه. ("تفسير القرآن العظيم" ٦/ ص ١٤٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بعضهم بمسحه بيمينه: «أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً». (أخرجه البخاري (٥٧٥٠) ومسلم (٢١٩١)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: «لا شافي إلا أنت» إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير الله تعالى وإلا فلا ينفع. ("فتح الباري" ١٠/ ص ٢٠٧).

عن أبي رمثة رضي الله عنه: أن أباه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أرني هذا الذي يظهره فإني رجل طبيب قال: «الله الطبيب بل أنت رجل رفيق طبيبها الذي خلقها». (أخرجه أبو داود (٤٢٠٧) صحيح).

قال المناوي رحمه الله: (الله الطبيب) أي هو المداوي الحقيقي بالدواء الشافي من الداء -إلى قوله-: يعني: ليس هذا علاجاً بل كلامك يفتقر إلى العلاج حيث سميت نفسك طبيباً، والله هو الطبيب، وإنما أنت رفيق ترفق بالمريض وتتلطف به وله. فهو من الأسلوب الحكيم في فن البديع. وذلك لأن الطبيب هو العالم بحقيقة الدواء والداء والقادر على الصحة والشفاء وليس ذلك إلا الله. ("فيض القدير" رقم (١٤٤٥)).

انظروا إلى غلو أنصار الشيخ ربيع البالغ، وهل يرضى الشيخ ربيع عن هذا الكلام؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ إذا كان الشيخ ربيع هو الطبيب ولا أحد خبير بالأمراض ومداواتها فليداوي مرض قاعدة حسن البنا في أوساطكم.

المثال السابع عشر: نقل الأخ الفاضل أبو محمد بن محمد عادل الزهراوي حفظه الله قول الشاعر في الشيخ

ربيع:

من عالم ملأ الدنيا بعلومه * حتى غدت بحراً بلا شطآن

أسفاره في كل فن ألفت * منشورة كلالى المرجان

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الغلو البالغ، وهل يعتقد الشيخ ربيع أن علومه كالبحر بلا شطآن؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ أم أن الهوى يعمي ويصم؟ عن أبي معمر رحمه الله قال: قام رجل يشني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب وقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المداحين التراب. (أخرجه مسلم (٣٠٠٢)).

المثال الثامن عشر: نقل الأخ الفاضل أبو حسان مروان العشيري حفظه الله شعرهم:

(رجل غيور ما رأينا مثله * في نصر أهل الحق والإيمان)

قال أبو فيروز -عفا الله عنه-: انظروا إلى هذا الغلو البالغ، وهل يعتقد الشيخ ربيع أنه لا مثل له في نصر أهل الحق والإيمان؟ وهل وبخ الشيخ ربيع الشاعر كما ألزم الشيخ يحيى بذلك؟ وأين غيرتكم أنتم وإنصافكم -أيها الثلاثة- تجاه هذه القضايا؟ لماذا أكثرتم تطبيق قاعدة الحسن البناء؟

الباب السابع: نصيحة لمن بغى على أخيه

الفصل الأول: ليست الملامة على المدافع عن نفسه بالحق، وإنما المذمة على البادئ الباغي

اعلم أن هذه الأمثلة ليست كلها، وما نريد الطعن في الشيخ ربيع حفظه الله - فنحن نحبه في الله -، ولكنه وحزب المرعيين قد أكثروا الهجوم على أهل الحق بغير حق، فأجبنا عنهم مستعينين بالله، ورددنا سهامهم إلى نجعتها، وألزمناهم بالزاماتهم، وليميز شهداء الله في الأرض - في هذه القضايا - أهل الباطل والجور والكبرياء من أهل الحق والإنصاف والتواضع.

فليس اللوم على المظلوم المدافع عن نفسه، وإنما الملامة على البادئ الظالم، ولا ينفع البغاة كثرة عددهم وعظيم شأنهم لأن الحاكم قد حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده. لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا * جنوده ضاق عنها السهل والجبل ("مغني اللبيب" / ص ٢٦١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكا. (راجع كاملاً "بدائع الفوائد" / ٢ / ص ٢٤٥-٢٤٦ / دار الكتاب العربي).

فنرجو أن يأخذ هؤلاء الطاعنون هذه القضايا بعين الاعتبار، ويدركوا أنفسهم، ويتوبوا من هذا البغي على أهل السنة، فإن أصروا على البغي فالله ليس بغافل عما يعملون، ونتمثل بقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

الفصل الثاني: شؤم رد الحق بعد معرفته

هذا، وقد سقت لكم ما يسر الله من الفهم الصحيح - من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة - في هذه القضايا، فلا بد من الإنصاف في الحكم دون الاعتماد على الذوق والوجد والرأي والأنفة فيميل إلى صاحب الباطل وإن عظم قدره. قال الخطيب البغدادي رحمه الله: فينبغي لمن لزمته الحجة، ووضحت له الدلالة، أن ينقاد لها، ويصير إلى موجباتها، لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق، وإتباع تكاليف الشرع، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. ("الفقيه والمتفقه" / ٢ / ص ١١٢ / دار ابن الجوزي).

وقال أيضا رحمه الله: وكذلك يجب على كل من احتج عليه بالحق أن يقبله ، ويسلم له ، ولا يحمل اللجاج والجدل على التفحيم في الباطل مع علمه به ، قال الله تعالى : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾. ("الفقيه والمتفقه" / ٢ / ص ١١٣ / دار ابن الجوزي).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: وليس من الإنصاف رد العلم الصحيح بمجرد الذوق والحال وهذا أصل الضلالة ومنه دخل الداخل على كثير من السالكين في تحكيم أذواقهم ومواجيدهم على العلم فكانت فتنة في الأرض وفساد كبير. ("طريق الهجرتين" / ص ٤٨٠).

فمن التزم تحري الحق والإنصاف وفقه الله للهدى. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ومن أثر الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرجوحها وفاسدها من صحيحها والله الموفق والهادي. ("بدائع الفوائد" / ٣ / ص ٦٦٥).

وأما من أعرض عن الحق بعد إن جاءه تكبرا على الله وعلى حملة الحق قد يعاقب بفساد صورة العلم في قلبه مع كثرة محفوظاته، فعمي الطريق واشتدت ضلالتة فسقط عن عيني الله وانهبط قدره في قلوب المؤمنين، فلا يلومن إلا نفسه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والتحقيق أن الموانع تحجبه وتعميه وربما قلبت حقيقته من القلب والقرآن قد دل على هذا قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ فعاقبهم سبحانه بإزاغة قلوبهم عن الحق لما زاغوا عنه ابتداء. ونظيره قوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ ولهذا قيل: من عرض عليه حق فرده فلم يقبله عوقب بفساد قلبه، وعقله، ورأيه. ومن هنا قيل: لا رأي لصاحب هوى، فإن هواه يحمله على رد الحق، فيفسد الله عليه رأيه وعقله. قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف﴾ أخبر سبحانه أن كفرهم بالحق بعد أن علموه كان سببا لطبع الله على قلوبهم، بل طبع الله عليها بكفرهم حتى صارت غلفا، والغلف جمع أغلف وهو القلب الذي قد غشيه غلاف، كالسيف الذي في غلافه. وكل شيء في غلافه فهو أغلف، وجمعه غلف، يقال: سيف أغلف، وقوس غلفاء، ورجل أغلف. وأقلف: إذا لم يخن. والمعنى: قلوبنا عليها غشاوة وغطاء، فلا تفقه ما تقول يا محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولم تع شيئا. من قال: إن المعنى: أنها غلف للعلم والحكمة أي: أوعية لها، فلا يحتاج إلى قولك، ولا تقبله استغناء بها عندهم، لوجوه: أحدها: إن غلف جمع أغلف كقلف وأقلف، وحر وأحمر، وجرد وأجرد، وغلب وأغلب ونظائره. والأغلف من القلوب هو الداخل في الغلاف. هذا هو المعروف من اللغة. الثاني: أنه ليس من الاستعمال السائغ المشهور أن يقال: قلب فلان غلاف لكذا، وهذا لا يكاد يوجد في شيء من نثر كلامهم، ولا نظمه، ولا نظير له في القرآن، فيحمل عليه، ولا هو من التشبيه البديع المستحسن، فلا يجوز حمل الآية عليه. الثالث: أن نظير قول هؤلاء قول الآخرين من الكفار: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ والأكنة هنا هي الغلف التي قلوب هؤلاء فيها، والأكنة كالأوعية،

والأغطية التي تغطي المتاع، ومنه الكناية لغلاف السهام. الرابع: أن سياق الآية لا يحسن مع المعنى الذي ذكره، ولا يحسن مقابله بقوله: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ وإنما يحسن مع هذا المعنى أن يسلب عنهم العلم والحكمة التي ادعوها، كما قيل لهم لما ادعوا ذلك: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾، وأما هنا فلما ادعوا أن قلوبهم في أغطية وأغشية لا تفقه قوله، قوبلوا بأن عرفهم أن كفرهم ونقضهم ميثاقهم وقتلهم الأنبياء كان سبباً لأن طبع على قلوبهم، ولا ريب أن القلب إذا طبع عليه أظلمت صورة العلم فيه، وانطمست، وربما ذهب أثرها حتى يصير السبب الذي يهتدي به المهتدون سبباً لضلال هذا، كما قال تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ فآخبر تعالى أن القرآن سبب لضلال هذا الصنف من الناس وهو هُداة الذي هدى به رسوله وعباده المؤمنين. ولهذا أخبر سبحانه إنه إنما يهتدي به من اتبع رضوان الله، قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ ولا شيء أعظم فساداً لمحل العلم من صيرورته بحيث يضل بها يهتدي به، فنسبته إلى الهدى والعلم نسبة الفم الذي قد استحكمت فيه المرارة إلى الماء العذب كما قيل: ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزللاً .

وإذا فسد القلب فسد إدراكه، وإذا فسد الفم فسد إدراكه، وكذلك إذا فسدت العين. وأهل المعرفة من الصيارفة يقولون: إن من خاف في نقده نسي النقد وسلبه، فاشتبه عليه الخالص بالزغل. ومن كلام بعض السلف: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه حل، وإلا ارتحل .
("مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ٩٩-١٠٠).

نكتفي إلى هناك ونسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يثبتنا وجميع مشايخنا على الحق حتى نلقاه، إنه سميع قريب مجيب الدعوات. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

دماج، ٦ رجب ١٤٣٤ هـ.

فهرس الرسالة

٢	مقدمة
٥	الباب الأول: حقيقة العالم والفقهاء
٥	تعريف العلم والفقهاء والاجتهاد، وأهل هذه الأمور
٧	الباب الثاني: لم ينفرد الشيخ يحيى الحجوري في هذا الحق
٧	الفصل الأول: الواقع يرد على مزاعم الحزبيين
٨	الفصل الثاني: من مناقب شيخنا المفضل أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري حفظه الله
١٣	الفصل الثالث: تنبيه مرة ثانية على حقيقة العلم والفقهاء
١٥	الفصل الرابع: من هم أهل الحديث؟
١٦	الفصل الخامس: أهل الأهواء يحتقرون بأهل الحديث ويغضونهم ويطعنون فيهم
١٩	الباب الثالث: شبهة حول حديث «البركة مع أكابرهم»
٢٤	الباب الرابع: هدم الاحتجاج بمجرد الأكثرية
٢٨	الباب الخامس: نسف الدخان حول قضية زلات بعض الشعراء
٢٨	الفصل الأول: موقف شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله
٣٠	الفصل الثاني: موقف الطلاب
٣١	الفصل الثالث: الخطأ حاصل من هؤلاء الشعراء ثم تابوا وحسنت توبتهم
٣١	الفصل الرابع: تعيير التائب حرام
٣٣	الفصل الخامس: كشف شبهة حول الاحتجاج بقصة آدم عليه السلام
٣٥	الباب السادس: غلو أصحاب الشيخ ربيع المدخلي فيه
٤٦	الباب السابع: ليست الملامة على المدافع عن نفسه بالحق، وإنما المذمة على البادئ الباغي
٤٨	فهرس الرسالة